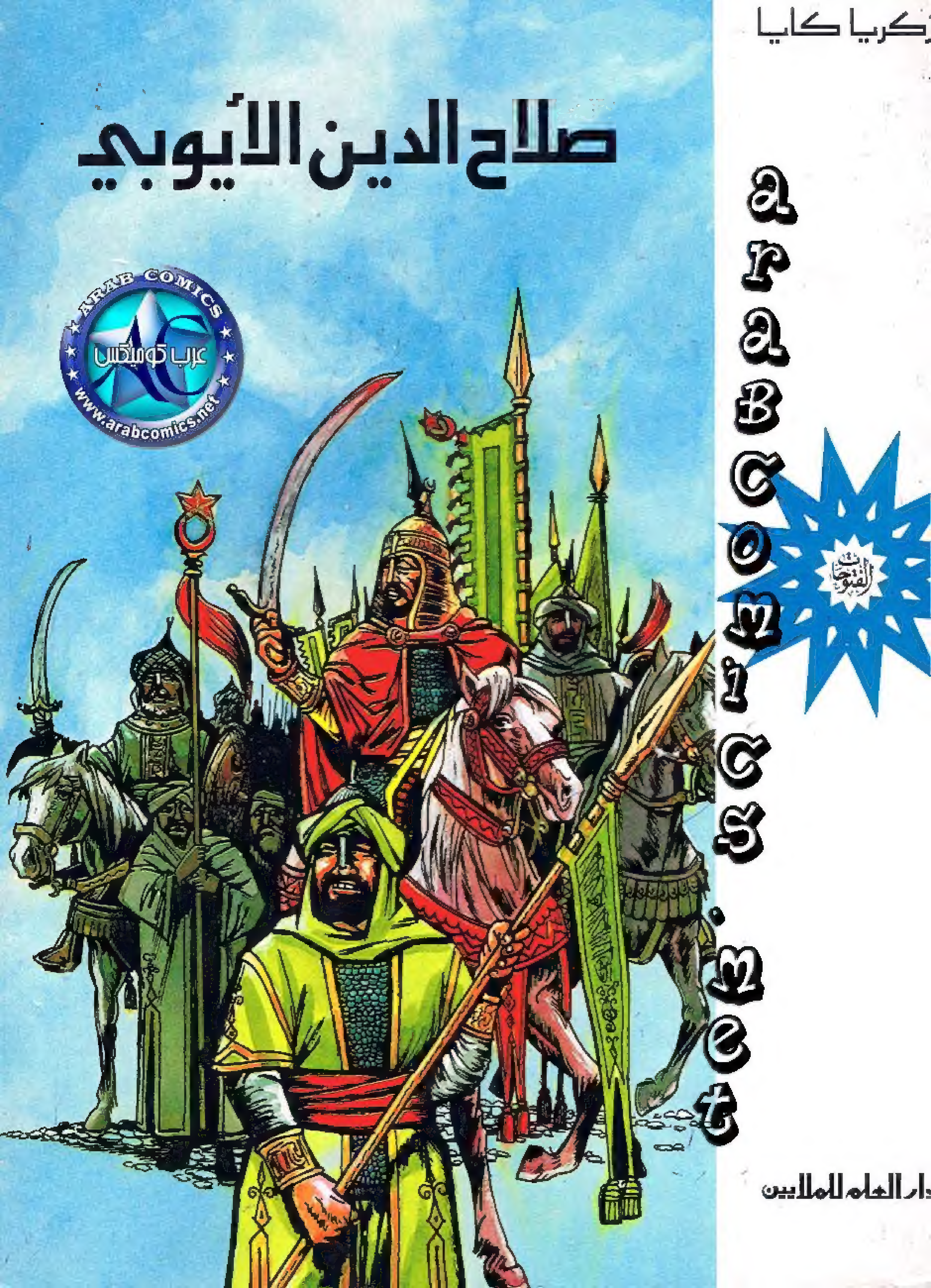

زكريا كايا
صلاح الدين الأيوبي
ARAB COMICS
عرب كوميكس
www.arabcomics.net
الفتوحات
arabcomics.net
دار العلم للملايين

زكريا كايا

صلاح الدين الأيوبي

دار العلم للملايين

دار العلم للملايين

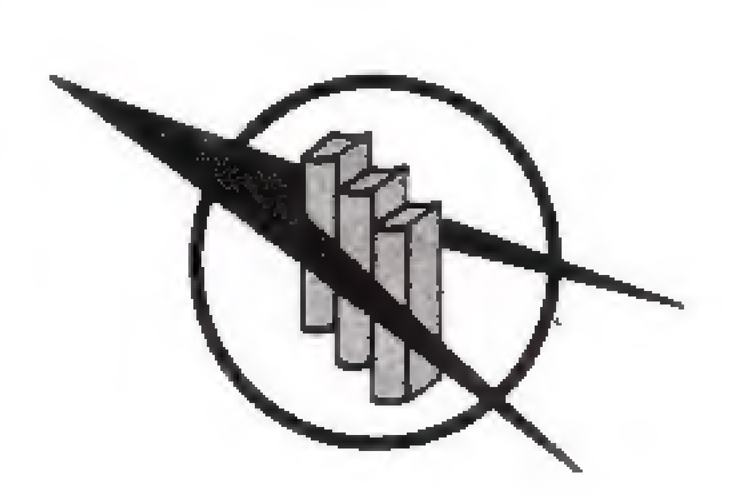
مؤسسة ثقافية للتأليف والترجمة والنشر

شارع مار الياس - خلف ثكنة الحلو

ص.ب ١٠٨٥ - تلفون : ٣٠٤٤٤٥ - ٨١٦٦٣٩

برقياً : ملايين - تلكس : ٢٣١٦٦ ملايين

بيروت - لبنان



الطبعة الأولى

أيار (مايو) ١٩٨٦

في مطلع القرن الثاني عشر الميلادي، كانت صراعات السلاجقة الأتراك، فيما بينهم، على السيادة في سوريا، قد أنهكت قوى البلاد، ومكنت الغزاة الفرنجة الصليبيين من تثبيت أقدامهم على أرض العرب مما دفعهم إلى السيطرة على كامل أرض سوريا الطبيعية، من حدود جبال أمانوس وطوروس في الشمال حتى سيناء والعقبة في الجنوب.

وقد شهد الربع الثاني من ذلك القرن نهوضاً عارماً في سبيل توحيد قوى العرب والمسلمين، وذلك لدحر الغزو الاستيطاني المتدفق من بلاد الفرنجة عبر موجاته المتتالية، وقد برز اسم سلطان الموصل عماد الدين زنكي قائداً لهذا النهوض.

وقُدّر لعشيرة كردية، كانت تعمل في خدمة عماد الدين ومن بعده في خدمة ابنه نور الدين أن تنجب بطلاً هو صلاح الدين بن نجم الدين الذي قضى على السيادة التركية السلجوقية وهو الذي وحّد كلمة العرب والمسلمين وتصدّى بنجاح للغزو الفرنجي.

كان نجم الدين أيوب حاكماً على مدينة تكريت العراقية من قبل الخليفة العباسي، ولكن اشتراك أخيه أسد الدين شيركوه في حادث اغتيال اضطر الأسرة إلى الهرب.









وتمت الاستعدادات على عجل للهرب إلى الموصل.





دخل أحد رجال نجم الدين عليه ليبلغه بأن عسكر بهروز قد أصبحوا على تخوم تكريت.

ومع حلول الظلام كانوا جميعاً على الطريق، وعند الفجر ولد صلاح الدين. وكان ذلك عام ١١٣٨



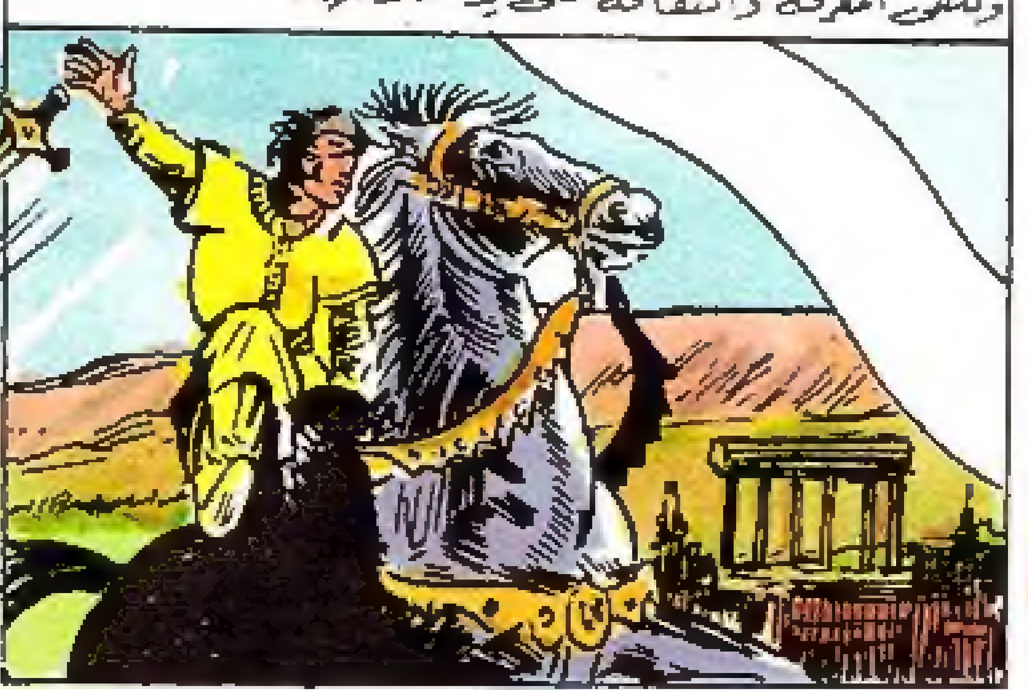
رحّب السلطان عماد الدين بنجم الدين وأخيه شيركوه ووفّر لهما العيش الكريم ثم التحق الاخوان من بعد بجيش الموصل فأسهما بقسط وافر في بسط سلطات عماد الدين على الجزيرة الفراتية، خدمةً لأهدافه في توحيد البلاد العربية والإسلامية وتعزيزاً لقدراتها في التصدي لجحافل الغزاة الافرنج التي زاد خطرها عقب تمكّنها من السيطرة على الساحل السوري.

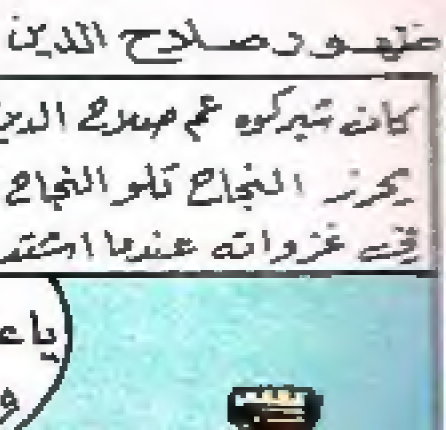
وبعد أن فتح مدن سوريا الداخلية واحدة بعد أخرى توجه نور الدين بجيشه نحو بعلبك جاعلاً شيركوه على رأسه.

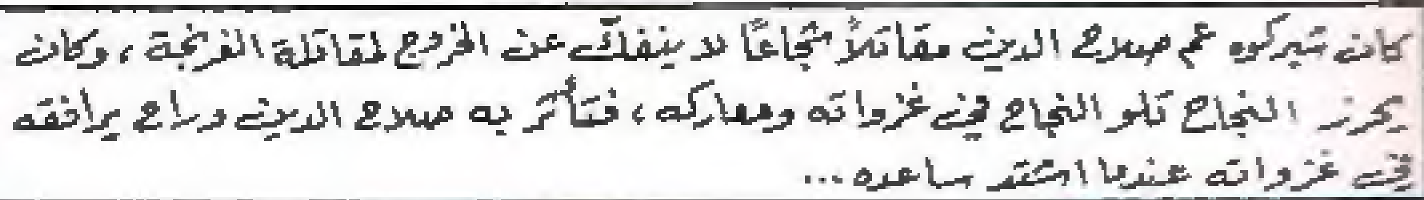











كان شيركوه عم صلاح الدين مقاتلاً شجاعاً لا ينفك عن الخروج لمقاتلة الفرنجة ، وكان يحرز النجاح تلو النجاح في غزواته ومعاركه ، فتأثر به صلاح الدين وراح يرافقه في غزواته عندما اشتد ساعده ...


ياعمّي أُريد التتلمذ عليك والاستفادة من خبراتك القتالية .
القتال ياصلاح الدين سلاحه الفكر السديد قبل اتقان ضربة السيف .


أنا مؤمن بالوفاء لتراب أرض المسلمين ولسوف أقف نفسي في سبيل تحريرها !


هذه الأرض مقدّسة ,وهي مهد الديانات السماوية التي جاء النبي محمّد خاتماً لأنبيائها !


برز اسم صلاح الدين وتألق نجمه وهو بعد في ريعان الشباب وتميزت شخصيته بالشجاعة والاستبسال والحكمة والنبل ، وبذلك كان سيفاً واعداً في معركة الوحدة وتطهير بلاد العرب والمسلمين من الغزاة الفرنجة .


وفي إحدى المعارك مع الفرنجة عمد صلاح الدين إلى مفاجأة العدو فهزمه وكان هذا أول انتصار له ...
يا للهول ...


تزعم شاور فتنة في مصر ، فسيّر إليه نور الدين جيشاً عقد راية الرئاسة فيه لشيركوه الذي اصطحب معه صلاح الدين ...



إزاح الخليفة العاضد لتسيير شيركوه إلى مصر للقضاء على المتآمر شاور الذي كان يتذبذب في ولائه بين مناصرة الخليفة تارة وتآمره مع الفرنجة تارة أخرى، همّه دائماً أن يقف إلى جانب المنتصر. وكان الفرنجة هم المنتصرين عقب احتلال جيوشهم للإسكندرية.



أدرك شاور أن وضعه ينذر بالخطر وأن الخليفة العاضد ونور الدين جادّان في القضاء عليه...



ولكن دهاء شيركوه وصلاح الدين أفسد عليه خططه فبعد الفراغ من هزيمة الفرنجة بطشا بشاور في معركة قصيرة نجحة مفاجئته.



إستوزر العاضد شيركوه على مصر وأصبح صلاح الدين ساعده الأيمن.



وبعد شهرين توفي شيركوه، وخلفه صلاح الدين في الوزارة بأمر من الخليفة العاضد، كما ثبّته نور الدين قائداً للجيوش السورية. وأقبلت وفود الأمصار تهنئه وكان ذلك عام ١١٦٩



دبّر حسّاد صلاح الدين والطامعون مؤامرة للإطاحة به فأعلمه أحد أعوانه بالمؤامرة.




إنصرف صلاح الدين إلى توطيد أركان حكمه ، فأقام العدل والمساواة بين الناس ليعزز الوحدة الوطنية بين المسلمين والأقباط المصريين حتى صار الأقباط يدعون له بالنصر في كنائسهم .


وراح صلاح الدين ، وبيد من حديد يضرب العابثين بأمن المواطنين اللصوص ودعاة الفتن .


إطمأن المصريون إلى حياتهم وأرزاقهم وعم الازدهار البلاد كلها ...
ليحفظ الباري عزّ وجل الملك الناصر صلاح الدين .


كان صلاح الدين من مجلسه يسوس البلاد ويسهر على شؤون العباد ولا تفوته شاردة ولا واردة وأدرك أن حاشية الخليفة فاسدة وهي تشكل خطراً يجب القضاء عليه ووقف بين يديه ذات يوم أحد عيونه ...
ما وراءك يا رجل ؟
فتنة رهيبة يا مولاي ... رأسها المدعو جوهر كبير الطغيان .
مولاي خذ حذرك ... إن أتباعه كثر يُعَدّون بالألوف .


بل أكثر من خمسين ألفاً والرجل مخادع وهو على صلة بالفرنجة وأنصاره لا يعلمون ذلك .


إشتبه جنود صلاح الدين برجل من اتباع الخائن جوهر، فأمسكوا به وفتشوه فعثروا في حذائه على رسالة من جوهر إلى الفرنجة يطلب فيها معونتهم للقضاء على صلاح الدين.
ياخونة... تتآمرون مع الأعداء الفرنجة ضد وطنكم وأمتكم ؟
والله يا مولاي... لاعلم لي بمحتوى الرسالة.
لنضربن عنقه في الحال ونبلغ سيدنا صلاح الدين.
إنتزع الجند الرسالة من الأسير واقتادوه إلى صلاح الدين.
الرحمة يا مولاي...
لا يستحق الرحمة من أقدم على خيانة بلاده وأمته.
أمر صلاح الدين باعتقال جوهر، فاقتيد إلى مجلسه ذليلاً.
إستبد الغضب بصلاح الدين وهو ينظر إلى رأس الفتنة، ماثلاً أمامه ذليلاً خائفاً...
اضربوا عنق هذا الخائن الفاجر.
عفوك يا مولاي... ابقِ على حياتي فأصير خادمك المطيع...
وبعد أن حمل الجند الخائن جوهراً وضربوا عنقه. أطرق صلاح الدين مفكراً.
الآن وليس غداً، عليّ تطهير حاشية الخليفة الفاطمي من الخونة والفاسدين...
واجتمع في الحال إلى قادة جنده وأمرهم بملاحقة أنصار جوهر...
يجب ألاّ تغيب الشمس قبل القضاء التام على الفتنة.
لنطهر حاشية الخليفة الفاطمي من الخونة والفاسدين.


توزّع جنود صلاح الدين في المدينة، في قصر الخليفة يطاردون فلول أنصار جوهر.
لا ترحموا الخونة ...


حذار التعرّض للمغرّر بهم والأبرياء ...


ذاك هو معاون الخائن جوهر، أمسكوه ... كتّفوه ...


أمسك الجند بمعاون جوهر وخليفته في تزعّم الفتنة وضربوا عنقه في ساحة عامة ...
ليلحق برأس الخيانة. وإلى جهنم وبئس المصير.
اضربوا عنقه ولننته من الخونة إلى الأبد ...

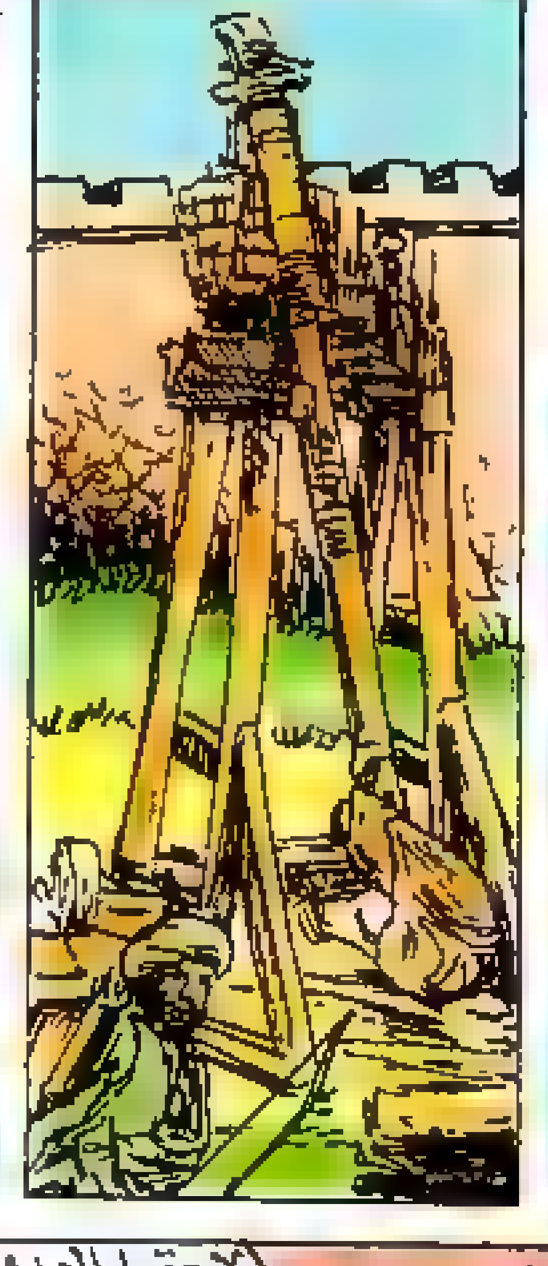

القيادة لأخي تقي الدين. سيروا عبر النيل اختصارًا للمسافة ...
وردت أخبار إلى صلاح الدين تفيد بتحرك آموري الفرنجي ملك القدس المحتلة وأن جيوشه تزحف نحو دمياط. فأعد صلاح الدين على عجل جيشًا لمواجهته بقيادة أخيه.
سمعًا وطاعة يا مولاي ...
الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك.


خلا صلاح الدين إلى نفسه بعد خروج القادة من حضرته ...
يا للمغفّل ... إن ظهر دمياط محمي بالنيل وبحر المصريين اللجب. فليس سهلاً أخذها من البحر.

حاصر أسطول الفرنجة بقيادة الأموري دمياط. والأموري يعتقد أن أنصار جوهر سوف يساعدونه من الداخل على احتلال دمياط ومن بعدها يحتل مصر كلها. ولكن ظنه خاب فإذا دمياط كلها مسلمين وأقباطا تواجه أسطوله بوابل من النيران الكثيفة مستخدمة عشرات الآلات المجانيق. فأوقعت في الأسطول الغازي الخسائر الفادحة وألحقت به هزيمة نكراء.

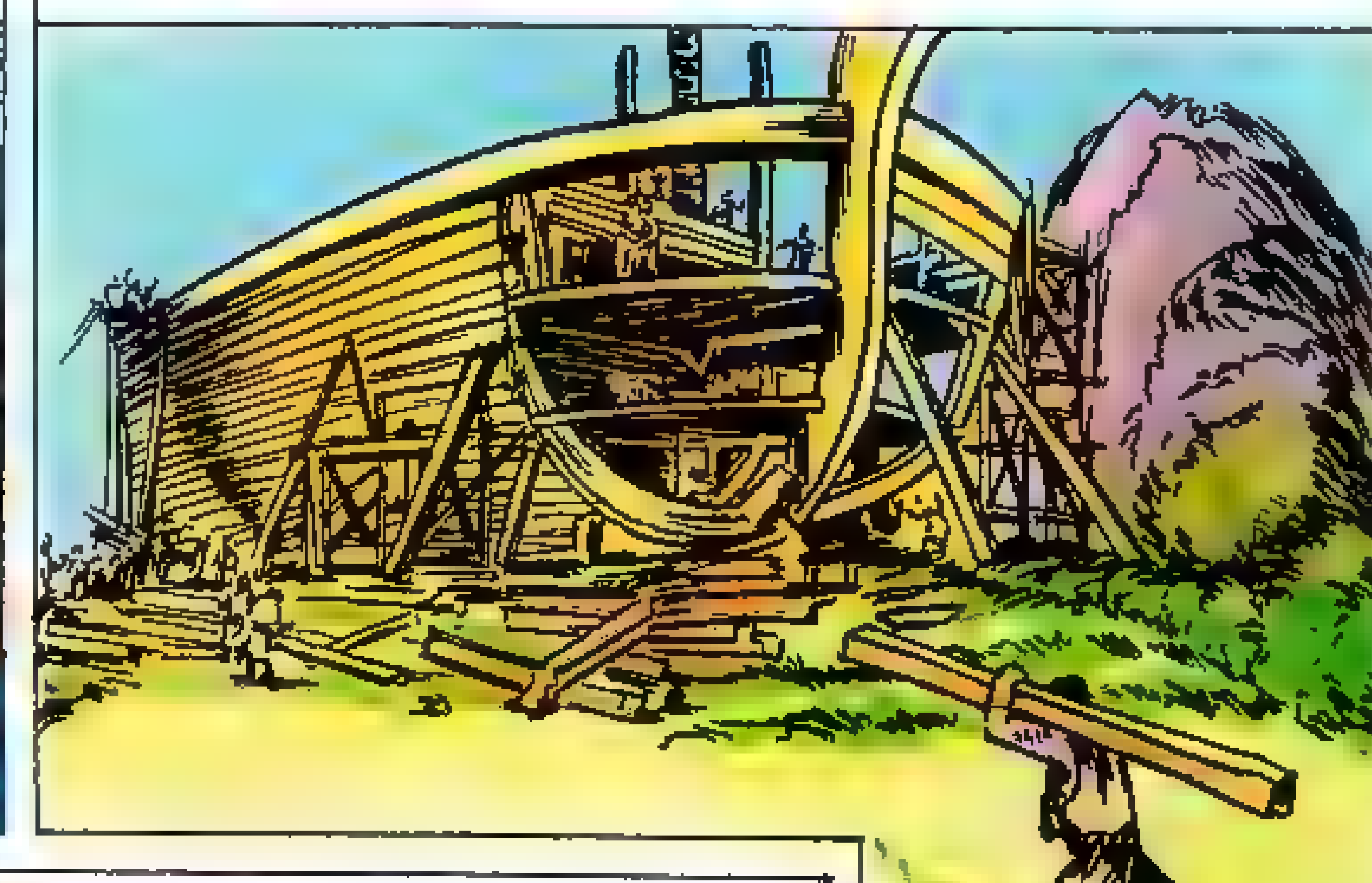











إنهمك المهندسون والعمال في صناعة السفن وفصّلوها قطعاً قطعاً ثم حمّلوها على ظهور الجمال وعبروا بها صحراء سيناء برفقة جيش كبير .. وعند حصن العقبة أعادوا تركيبها وزوّدوها بأبراج لدكّ قلعة العقبة الحصينة...


إحتشد الجند في السفن ثم أحكموا الطوق من حول العقبة بحراً بينما شدد بقية الرجال الحصار براً.


أرض العرب للعرب ... وطريق الحج ستكون آمنة بعد الآن ... هجوم ...
وبعد أن دُكّت أبوابه القلعة أمر صلاح الدين جنوده بالإقتحام ..


ودارت داخل أسوار المدينة معركة رهيبة انتهت بانتصار جيش صلاح الدين ...
آه ... آه ...
خذها قاتلة يا فرنجي ...

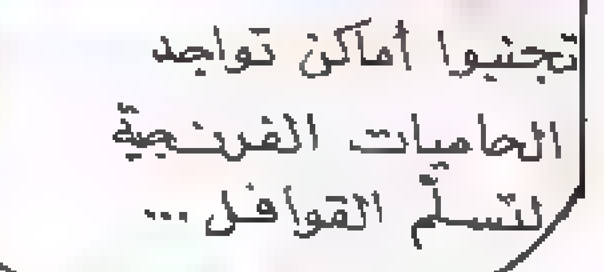

الله أكبر ... النصر ... النصر ...

في عام ١١٧٢م وافت المنيّة الخليفة الفاطمي العاضد فأقام صلاح الدين له مأتماً مهيباً يليق بخليفة المسلمين وكان قد ضمن ولاء الخلافة له عقب تطهير حاشيتها الفاسدة وحانت الفرصة الذهبية صلاح الدين ليتوجّه إلى القدس ويحررها من الفرنجة وأبطل الخلافة الفاطمية إلى الأبد وأمر بالخطبة للخليفة العباسي في بغداد...



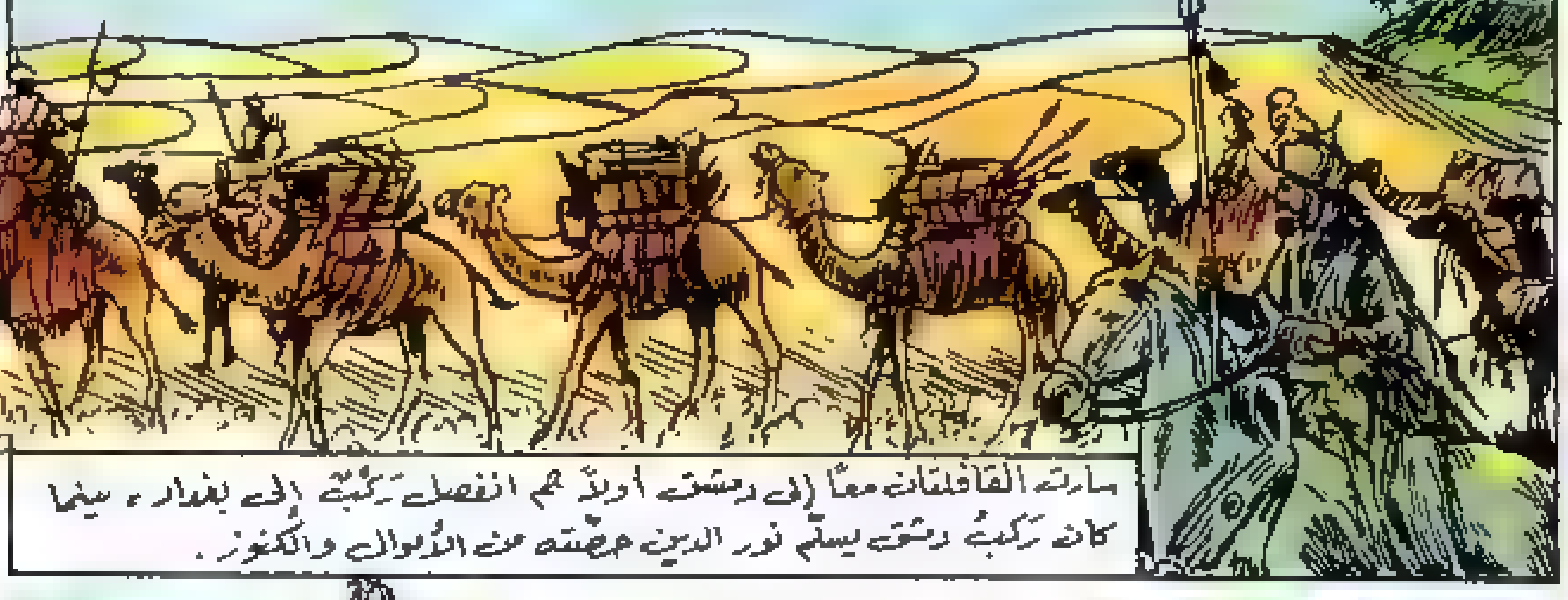
واقتطع صلاح الدين نصيباً وافراً من كنوز الفاطميين العظيمة التي استولى عليها وأرسلها إلى الخليفة في بغداد، كما اقتطع قسماً آخر جعله من نصيب السلطان نور الدين في دمشق ليستعمله في تجهيز جيش الشام.







أمر صلاح الدين بإعداد القوافل لتسليم الأموال إلى دمشق وبغداد.



سارت القافلتان معاً إلى دمشق أولاً ثم انفصل رَكْبٌ إلى بغداد، بينما كان رَكْبُ دمشق يسلّم نور الدين حصّته من الأموال والكنوز.



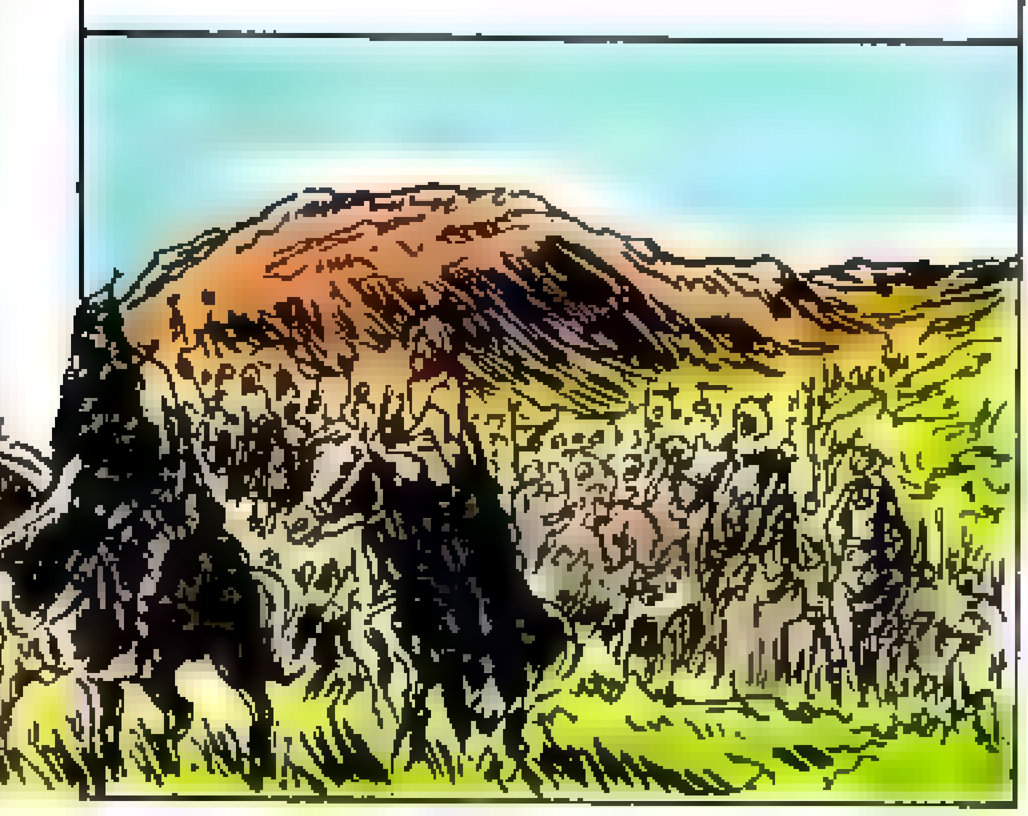
وبلغ الركب بغداد فسلم الكنوز والأموال إلى الخليفة العباسي وسط مظاهر الابتهاج والرضى...



بوركت يا فقيه... لقد أكدت لي ما كنت أشك فيه.
لنبطش بالمتآمرين قبل وصول أسطول صقلية القوي!
سيّدي... بلغني أن تحالفاً سريّاً يقوم الآن بين رئيس الحشاشين راشد بن سنان في الشام والأموري وملك صقلية، وأنت هدف هذا التآمر!
إستعمل صلاح الدين أموال الفاطميين في تعزيز الجيش وانطلق يتابع توسيع سلطانه حتى بلغ قابس في تونس غربًا، وبلاد النوبة جنوبًا. وعقب طوافه حول الكعبة الشريفة وبعد مناسك العمرة مضى إلى اليمن واحتاط ثم عاد إلى مصر وسكن قصره الفخم الذي أقامه عند سفح جبل المقطم. وذات يوم جاءه فقيه مصري يعلمه بمؤامرة كبرى تدبر في الخفاء...
لنبدأ بإعداد الداخل أولاً، نحن نستعد لمواجهة أسطول صقلية في الإسكندرية!
وسرعان ما بطش صلاح الدين بتوران شاه في اليمن وهو رأس الفتنة. وقطع الطريق أمام جيش الأموري القادم من القدس. وألحق الهزيمة النكراء بأسطول صقلية في ميناء الإسكندرية
بلغ خبر هذه الهزائم وفشل المؤامرة إلى الأموري في القدس...
يا لصلاح الدين داهية... قد تكون نهايتنا على يديه...
واشتعلت نيران الثورة في السودان فأخمدها صلاح الدين بسرعة فائقة.


إثر وفاة السلطان نور الدين اضطرب الأمن في بلاد الشام وانفرد الولاة بالحكم وعزز الفرنجة قدراتهم العسكرية استعداداً لتوسيع رقعة نفوذهم ، ووجد صلاح الدين أن الفرصة مواتية لتوحيد البلاد العربية تحت رايته فعزم على دعم الملك العادل في الشام بتأييد من الخليفة العباسي فسار إلى دمشق ودخلها وسط مظاهر التأييد والحماسة كالذي لقيه في المدن التي مر بها ...


إحذر يا صلاح الدين حاشية الملك العادل وخاصة كمشتكين اللئيم
سلجوقي ومعاصر لوحدة العرب ؟ ... هذا محال !
إجتمع صلاح الدين بوالي دمشق ووقف منه على أوضاع بلاد الشام .

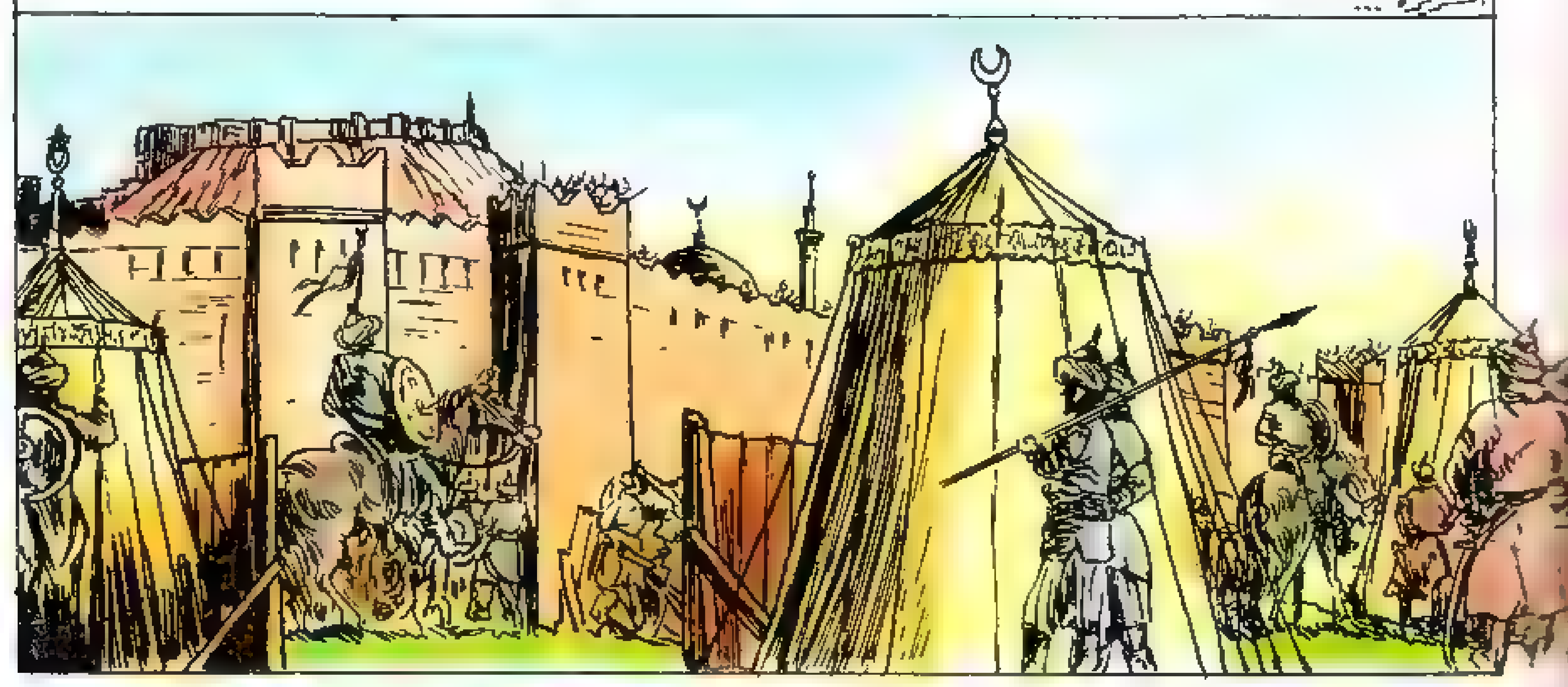

وضع صلاح الدين نصب عينيه هدف توحيد المدن الشامية كلها فسار على رأس جيشه نحو حمص ...

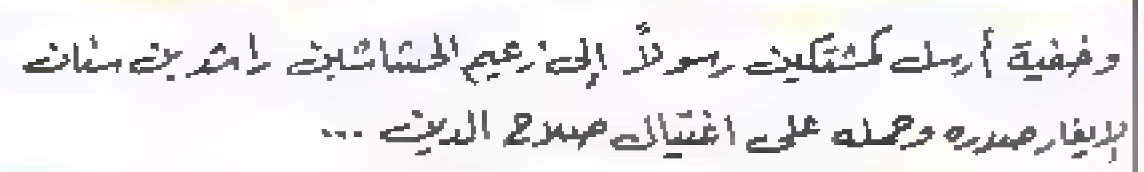

دخل حمص وسط مظاهر التأييد والزينات وابتهاج الأهلين .


إحذر يا صلاح الدين ... إن كمشتكين السلجوقي قد أوغر صدر الملك العادل عليك ...
إن الملك العادل إنسان طيب وإني لمنقذه من حاشية السوء .
واجتمع صلاح الدين مع والي حمص ...


كان الملك العادل قد أنذر صلاح الدين وطلب منه العودة إلى مصر وهدده بالعقاب الصارم إن هو لم يفعل وأثناء إقامته في حمص راح القائد الفذ يفكر في إنذار الملك العادل له .
لا بد من ضرب رأس الفتنة كمشتكين والي حلب .

عبر صلاح الدين مدينة حماة الموالية له ووصل حلب وضرب من حولها حصاراً شديداً وراح يعلن للأهليين نواياه السليمة؛ وبأنه جاء للإنقاذ الملك العادل من حاشية السوء التي تستغله لمآربها الدنيئة. ولكن مكر كمشتكين أفشل حملته الدعائية فأغلقت المدينة أبوابها أسوارها وتحصّن أهلها وأخلاؤها. وإمعاناً في مكره راح كمشتكين المخادع يطوف في شوارع حلب باكياً مستعطفاً ومروعاً الأهليين بنوايا صلاح الدين الشريرة ...





وخفية أرسل كمشتكين رسولاً إلى زعيم الحشاشين راشد بن سنان لإيغار صدره وحمله على اغتيال صلاح الدين ...



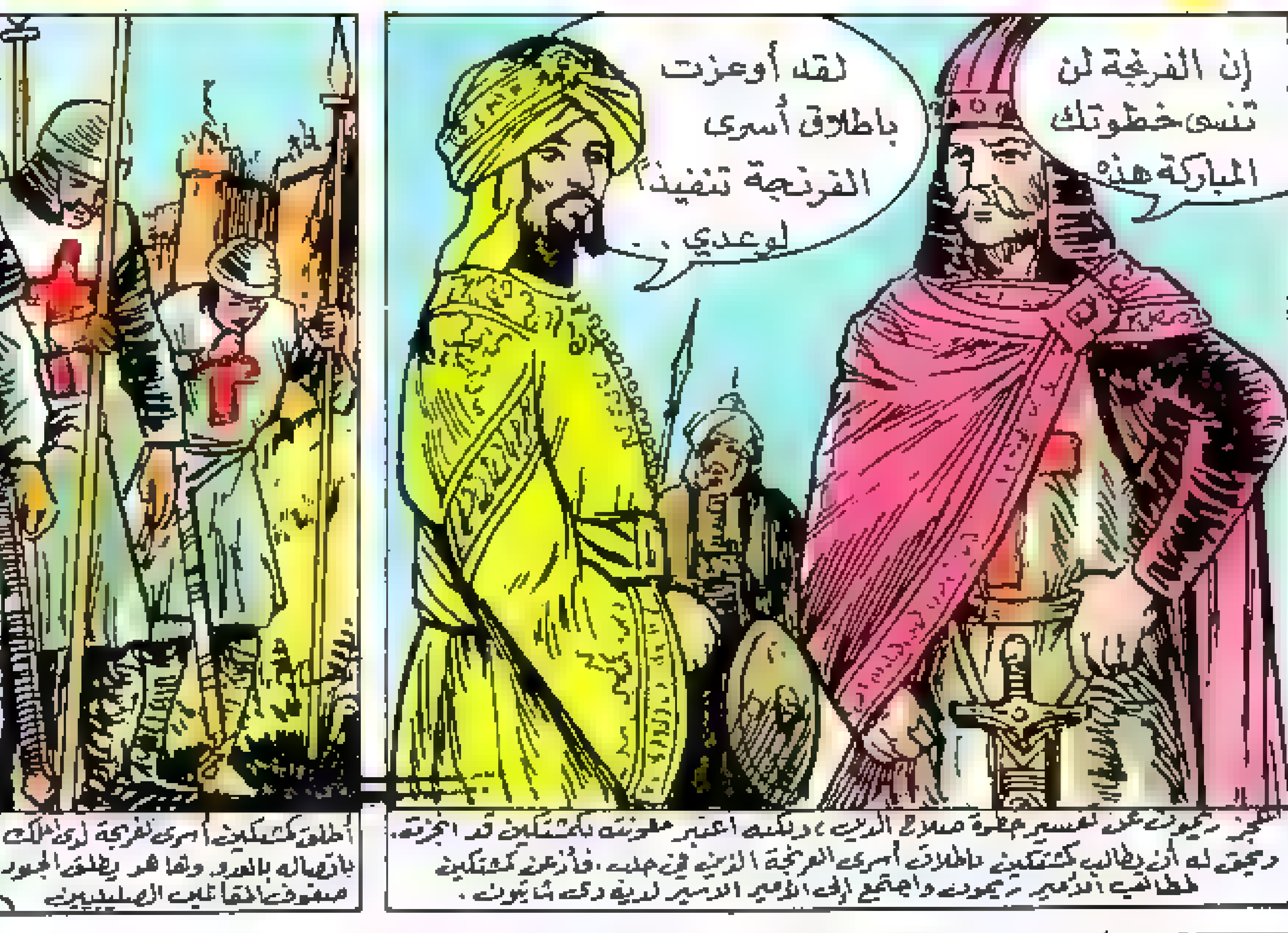




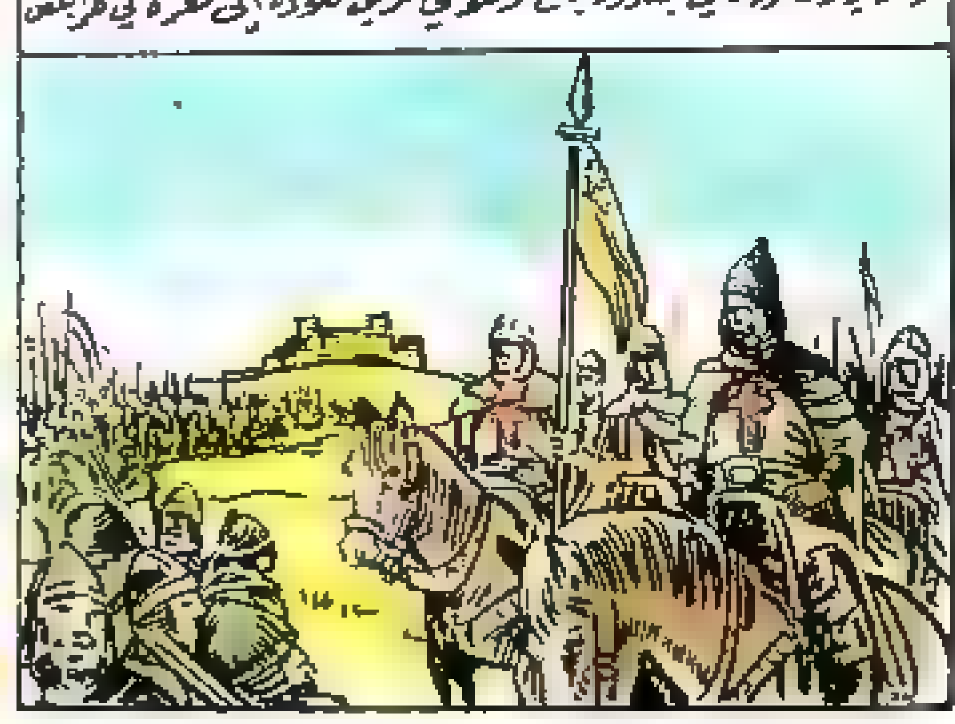



طال حصار صلاح الدين لحلب. ووقف على حقيقة مكر كمشتكين واستنجاده بالعدو الفرنجي ريمون الثالث قومص أمير طرابلس الصليبي. ولكنه فوجئ بمسير ريمون نحو حلب واستيلائه على حمص، فأدرك ضخامة حشود الفرنجة وقدراتهم الهائلة فخشي الهزيمة أمامهم فقرر العودة الى دمشق وعدم الاصطدام بهم.
فكّوا الحصار واستعدوا للعودة إلى دمشق حالاً.
سمعًا وطاعة يا مولاي!


وقامت الاستعدادات لفك الحصار والمسير باتجاه دمشق.
الوجهة دمشق ... إلى الأمام سر ...


إن الفرنجة لن تنسى خطوتك المباركة هذه
لقد أوعزت بإطلاق أسرى الفرنجة تنفيذاً لوعدي
عجز ريمون عن تفسير خطوة صلاح الدين، ولكنه اعتبر معونته لكمشتكين قد انجزت. وحق له أن يطالب كمشتكين بإطلاق أسرى الفرنجة الذين في حلب. فأذعن كمشتكين لطلب الأمير ريمون واجتمع إلى الأمير الأسير لديه دي شاتيون.


أطلق كمشتكين أسرى الفرنجة لديه ليؤكد ارتباطه بالعدو. وها هو يطلق الجنود صفوف المقاتلين الصليبيين
ليعلن متوجاً خيانته الدنيئة الأسرى ليعودوا وينتظموا في صف العدو ضد العرب والمسلمين.


استقبل ريمون نبأ إطلاق الأسرى الفرنجة ومن بينهم الأمير دي شاتيون والأمير دي كورتناي بسرور بالغ وهو في طريق العودة إلى مقره في طرابلس


عرج صلاح الدين على بعلبك في طريق عودته إلى دمشق وأعاد فتحها وضمها إلى سلطانه وثارت ذكرياته في صدره وهو يجول في مرتع طفولته ...
بوركتِ يا مدينة الشمس يا مرتع صباي وملاعب طفولتي!


تزعّم سيف الدين غازي أمير الموصل مؤامرة للقضاء على صلاح الدين بالتعاون مع كمشتكين رغم هزيمته قرب حماة ومصالحته لصلاح الدين. وبعث رسولاً حمّله كتابين أحدهما إلى صلاح الدين يداهنه والثاني إلى زعماء حلب يؤلّبهم لحرب صلاح الدين ويطلعهم على اشتراك الفرنجة معه. وكان الرسول الغبي عندما مثل أمام صلاح الدين أخطأ بين الرسالتين فسلمه الرسالة الموجهة إلى زعماء حلب
حفظ المولى عزّ وجلّ سيّدك.
مولاي ... إن سيّدي أمير الموصل يرفع لمقامكم الجليل أسمى آيات الحب والوفاء ...

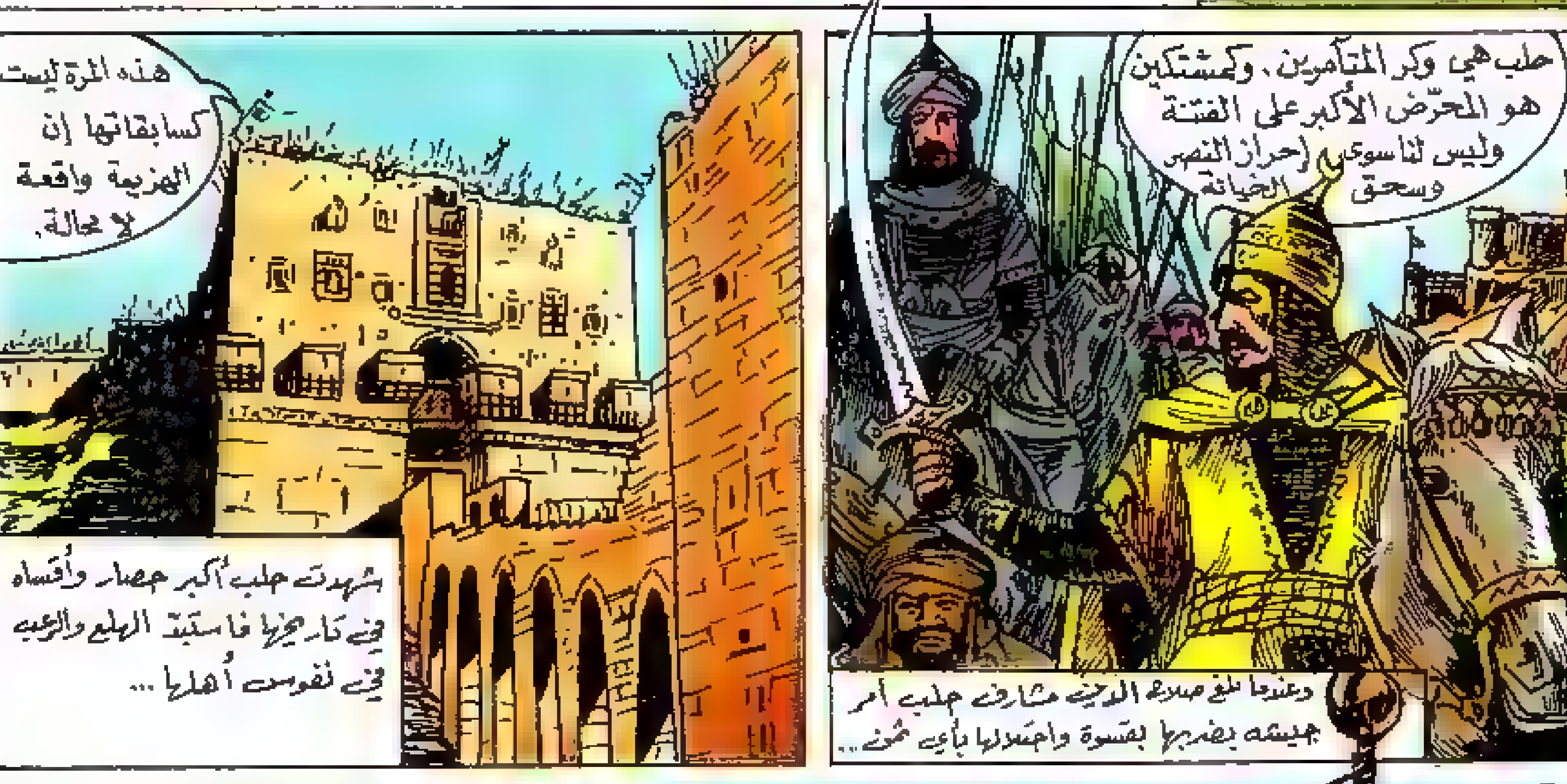

يا لـه من رجـل لئيم ...
وتسلّم صلاح الدين الرسالة الخطأ والتهم سطورها على عجل واستبدّ به الغضب ...


اضربوا رقبة الرسول في الحال ... وليستعدّ الجيش للقضاء على الفتنة في المهد...


وضرب الجلاد رأس الرسول الغبي ...


زحف صلاح الدين على رأس جيشه إلى حماه والتقى بجيش الخونة المتحالفين عند "تل السلطان" بين حماة وحلب ودارت معركة مروعة انتصر فيها صلاح الدين ومزّق صفوف الأعداء شرّ ممزق وأسر عدداً كبيراً من الجنود وغنم الكثير من العتاد.
لن يهدأ بالي قبل احتلال حلب والقضاء على كمشتكين رأس الأفعى السامة ...


وبعد هزيمة المتآمرين في قتل السلطان تابع صلاح الدين زحفه المظفّر نحو الشمال
فاحتل أعزاز ومنبج قبل أن ييمّم شطر حلب وقد عقد العزم على
فتحها واحتلالها.


حلب هي وكر المتآمرين، وكمشتكين هو المحرّض الأكبر على الفتنة وليس لنا سوى إحراز النصر وسحق الخيانة
وعندما بلغ صلاح الدين مشارف حلب أمر جيشه بضربها بقسوة واحتلالها بأي ثمن..
هذه المرة ليست كسابقاتها إن الهزيمة واقعة لا محالة.
شهدت حلب أكبر حصار وأقساه في تاريخها فاستبد الهلع والرعب في نفوس أهلها ...


وضُربت حلب بعنف بالمنجنيق وارتفعت فوقها عاليًا أعمدة كثيفة من الدخان ..
ومن مقرّه داخل قلعة حلب أدرك كمشتكين نوايا صلاح الدين الحازمة وأحسّ بخطر النهاية الوخيمة ففكّر يائسًا في حيلة ينقذ بها رأسه.
ليس خيرًا من استغلال ابنة السلطان نور الدين الصغيرة لطلب العفو وفكّ الحصار ...







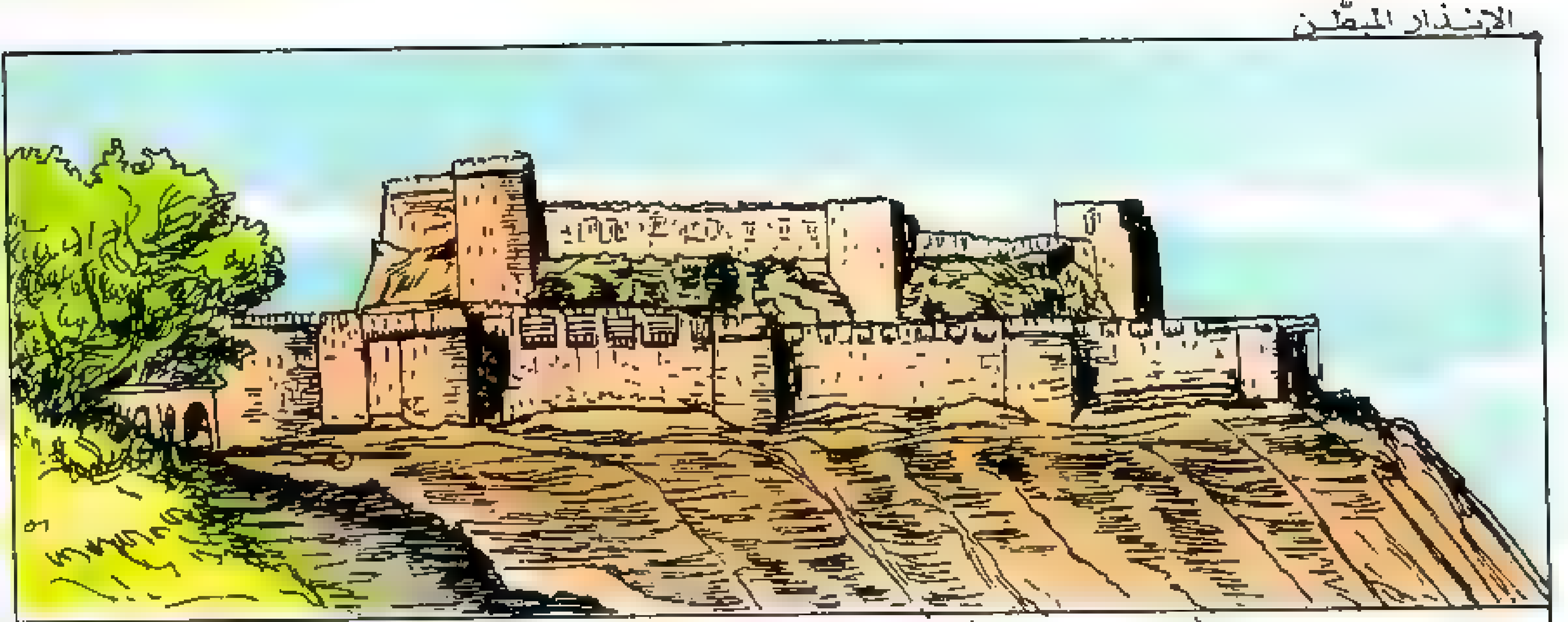


تسلّم صلاح الدين بعد حين رسالة من الملك اسماعيل يطلب منه الصلح والاحتفاظ بإمارة حلب وحدها تحت سلطانه.





الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين زنكي ووريثه القاصر في الملك.



كانت قلعة مصياف حصنًا للحشاشين ومقرًا، لزعيمهم راشد بن سنان، وكان الحشاشون حلفاء للفاطميين في بلاد الشام، وقد اعتمدوا الاغتيال والإرهاب أسلوبًا لتحقيق أهدافهم فسعوا للانتقام من صلاح الدين إذ عدوه مسؤولًا عن القضاء على الدولة الفاطمية في مصر، وحاولوا اغتياله مرات عدة.









أحكم صلاح الدين الحصار من حول قلعة مصياف وراح يدكّها بالمنجنيق دكًا شديدًا وقد وطّد العزم على سحق الحشاشين ليتفرّغ كلية إلى حشد قدرات العرب والمسلمين ومواجهة الغزاة الفرنجة وطردهم .



إكرامًا لخاله وافق صلاح الدين على العفو عن مصياف وأهلها وراشد والحشاشين .

على راشد وأنصاره وضع حدّ نهائي لأعمالهم التخريبية والإرهابية وعليهم معاضدة جيش المسلمين في قتال الغزاة الإفرنج ولهم الأمان .

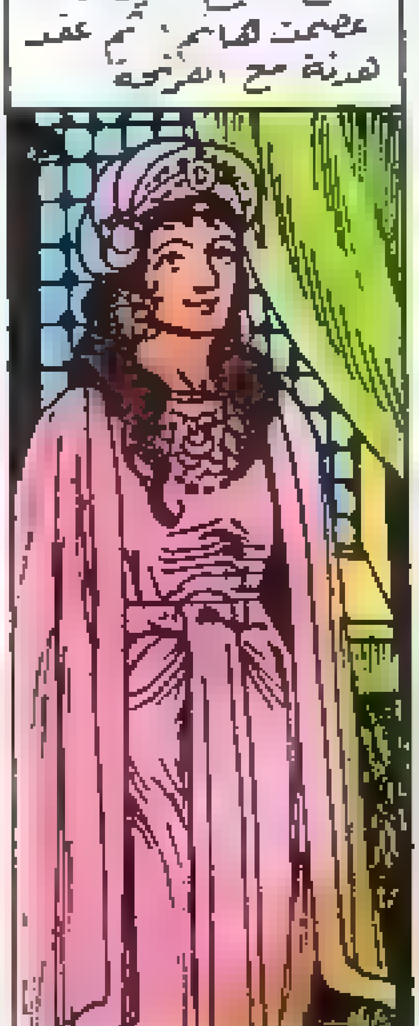



الرجل شهم وأهل للثقة إننا من أنصاره منذ الساعة.
عاش صلاح الدين قائد العرب والمسلمين ...
إجتمع راشد بن سنان إلى كبار معاونيه في مقره داخل قلعة مصياف.


وأم سنان أعلنت نبأ ولائه وأنصاره لصلاح الدين وأنه ذاهب بنفسه للقاء صلاح الدين.
الله أكبر... يا للفرحة الكبرى.


هذا يوم مشهود. يوم وحدة كلمة المسلمين.
فك الحصار عن مصياف وقلعتها وخرج الأهلون إلى الشوارع مهللين مكبّرين.


ومثل راشد بن سنان أمام صلاح الدين وقدم له فروض الطاعة والولاء.
يا راشد: إنّ في وحدة المسلمين قوّتهم وبها بعد الله يستعينون.
يشهد الله على أني لن أشهر سيفي سوى في خدمة بني قومي عربًا ومسلمين


وبعد وفاة سماعين تزوج صلاح الدين وسنه عصمت هانم، ثم عقد هدنة مع الفرنجة


نعمت البلاد فترة من السلام والطمأنينة وانصرف صلاح الدين لرعاية شؤون الأهلين وأحوالهم المعيشية. وأخذ ينزل إلى الأسواق ليقف على الأحوال بنفسه.
وسّعوا الطريق للملك الناصر صلاح الدين الأيوبي


نقض الفرنجة الهدنة المعقودة بينهم وبين صلاح الدين. وراحوا يشنون الغارات تلو الغارات على أطراف دمشق وبعض المدن الشامية وحققوا في ذلك انتصارات وأسروا أحد قادة صلاح الدين وقهروا أخاه توران شاه.


إستبدّ الغضب بصلاح الدين فأخذ يعدّ الخطط لردعهم.
عليّ أن أحدّد زمان ومكان المعركة.


لا بدّ من استدراج الفرنجة إلى غزة وعسقلان حيث أفضل موقع لمعركة ناجحة.


زحف صلاح الدين نحو غزة ثم حاصر الفرنجة في عسقلان.


هذه نهايتك يا صلاح الدين
لا تدعوه ينجو هذه المرّة.
لكن انسحاب الجنود المصريين ترك فجوة في جيش صلاح الدين ومكّن الفرنجة من فك الحصار عن عسقلان، بل وكاد صلاح الدين نفسه يلقى مصرعه في معركة بارين قرب الرملة لولا إنقاذ جنوده له


بنى الفرنجة قلعةً حصينةً عند طبريا واتخذوا منها مركزاً لتجمّعهم ومستودعاً لعتادهم الحربي. وانطلقوا يكثفون هجماتهم على المدن الشامية. وتمكّنوا من حصار حازم كما زحف أحد قادتهم بلدوين نحو دمشق نفسها لاحتلالها لولا تصدّى الأمير فرخشاه له وإلحاق الهزيمة في صفوفه.
وعمل صلاح الدين بسرعة لتحطيم قدرات العدو القتالية وتشتيت قواه فهاجم قلعة طبريا وضربها بالمنجنيق ضرباً عنيفاً، وسيّر فرقة من جهة أخرى لغزو بيروت وصيدا.
وقاد بنفسه معركة في مرجعيون وانتصر فيها على الفرنجة وأسر عدداً من أمرائهم وبلغته أنباء تعرّض أمير كرك الصليبي لقوافل الحجاج فتوجّه نحو عكا. وتمكّن من أسر بعض الفرنجة في بلاد في مجاورته لتثبيت قدرة العرب والمسلمين على محاربة الفرنجة وردهم عن أرض الوطن
ووجّه بعض سراياه لغزو طبريا وضرب صفد.
إن صلاح الدين منتصر حتماً إن استمرت الحرب على هذا النحو لا بدّ من عقد هدنة تنقذنا.
أوقعت الضربات المتلاحقة والمتعددة الأماكن التي كالها صلاح الدين للفرنجة البلبلة والارتباك في صفوفهم.

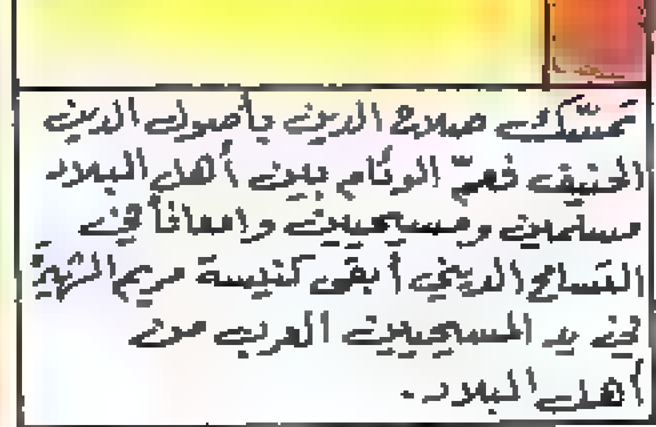


بادر ملك القدس الصليبي إلى لقاء صلاح الدين، وعقد معه هدنة مدتها سنتان تشمل جميع المدن السورية، وحتى أمير طرابلس المتمرد أبدًا اضطر إلى الخضوع لأحكامها.

عدّ صلاح الدين وصية اسماعيل المتوفى في تولية
خلفائه عليها باطلة. لأنه لا يحق ولاية حلب وفق عهده
لغير الملك اسماعيل وحده. فسار الى حلب واستولى عليها ودخل
قلعتها منتصرًا.

انضمّ أمير انطاكية الصليبي إلى معاهدته وعقد صلحًا مع صلاح الدين وبذلك عمّ السلم أرجاء سوريا كافة من أمانوس حتى سينا. واتخذ صلاح الدين دمشق مقرًا له.

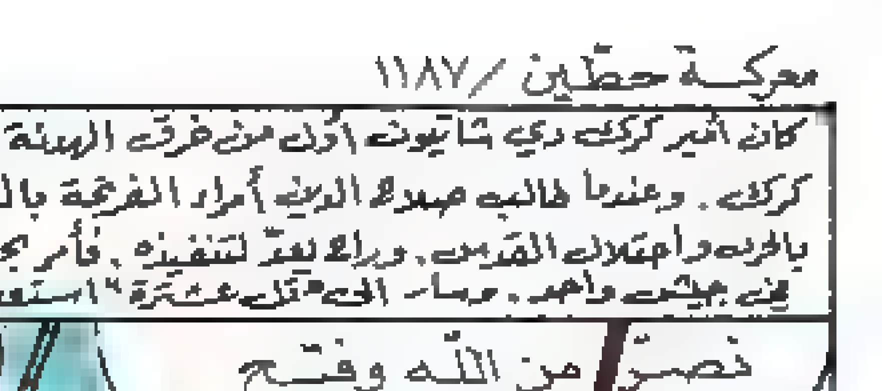



تمسّك صلاح الدين بأصول الدين الحنيف فعمّ الوئام بين أهل البلاد مسلمين ومسيحيين وإمعانًا في التسامح الديني أبقى كنيسة مريم الشهيرة في يد المسيحيين العرب من أهل البلاد.

وجلس صلاح الدين في داره بدمشق مطمئنًا لما أنجز وقد دانت له أنحاء سوريا والجزيرة والموصل ومصر وسواحل إفريقيا الشمالية واليمن.



كان أمير كرك دي شاتيون أول من خرق الهدنة وأغار على قافلة عربية كانت متوجهة نحو دمشق وسلب حمولتها وأسر أفرادها وزجّهم في سجون قلعة كرك. وعندما طالب صلاح الدين أمراء الفرنجة بالتقيّد بأحكام الهدنة وتصحيح خرق دي شاتيون لم يردّ على طلبه أحد منهم. فاتخذ صلاح الدين قراراً بالحرب واحتلال القدس. وراح يعدّ لتنفيذه. فأمر بحشد أقصى ما يمكن من الجيوش، رغم مرضه، فوافاه جيش مصر وانضمت جموع القبائل العربية في جيش واحد. وسار الى تل عشترة استعداداً للمعركة.



وفي حزيران من عام ١١٨٧م، كان صلاح الدين يمضي الليل في معسكره متفقداً كتائب جيشه العرمرم

غداة غد يوم مشهود له.

الجهاد في سبيل الله وفي سبيل تحرير أرض العرب والمسلمين واجب مقدّس فابذلوا له الغالي.

ومع اطلالة الفجر الأولى انتظم عساكر صلاح الدين استعداداً لخوض أكبر معركة وكان جيشه يعدّ نحو عشرة آلاف فارس وثلاثة عشر ألف راجل وعدداً غفيراً من المتطوعين ومن القبائل العربية البدوية.

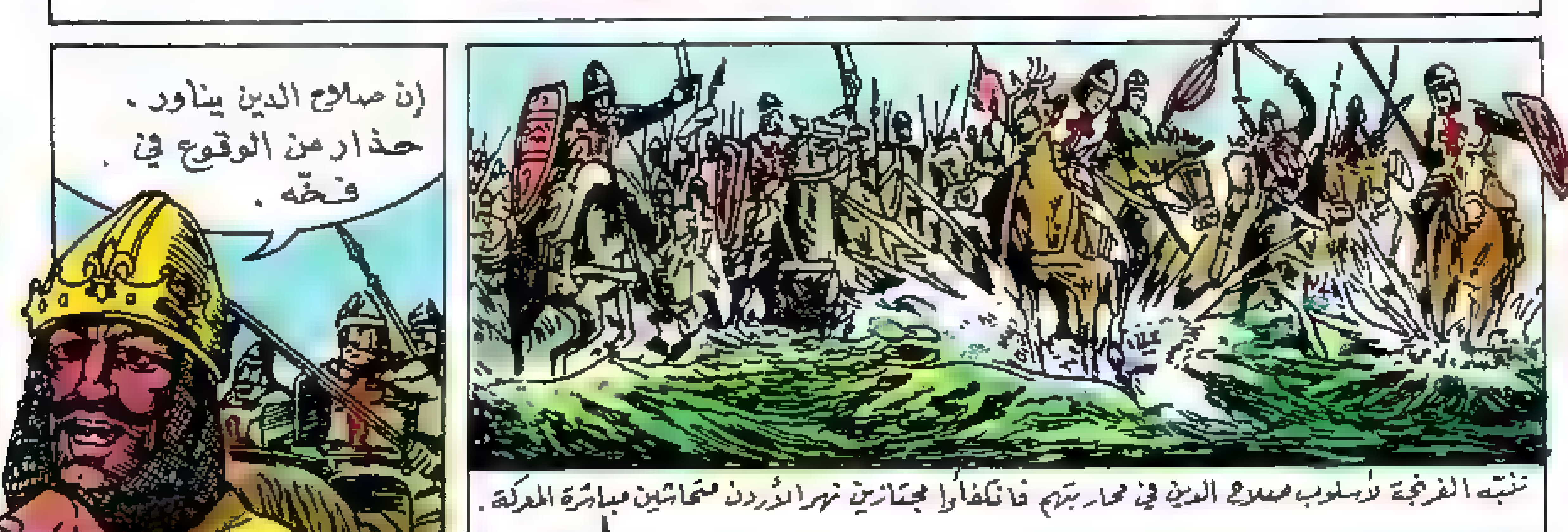
وفي الجانب الآخر حشد الفرنجة نحو اثنين وعشرين ألف مقاتل بين فارس وراجل. وتوحّد أمراء الفرنجة الصليبيين كافة لقتال العرب متناسين خلافاتهم ونزاعاتهم.

ستكون المعركة مرعبة وقاسية هذه المرّة.

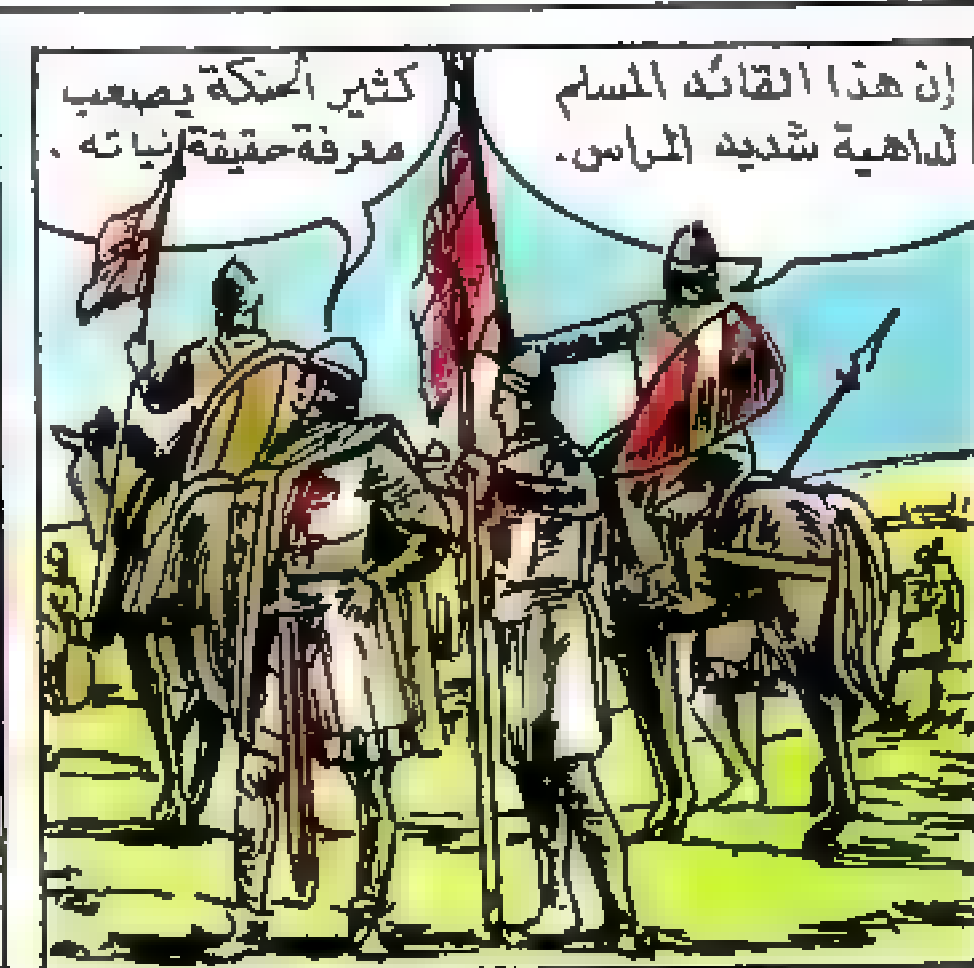
دمّروا حشود العدوّ في معارك كرّ وفرّ.

الله أكبر. الله أكبر.

صمّم صلاح الدين على تجنب خوض المعركة الحاسمة والعدوّ بكامل قوته عدداً وعدةً ومعنويات، فعبر نهر الأردن وأخذ يناوش جيش العدوّ حرباً عواناً على تجمعاته تحطيماً لمعنوياته، لتسهل عليه مجابهته في المعركة الحاسمة.



تنبه الفرنجة لأسلوب صلاح الدين في محاربتهم فانكفأوا مجتازين نهر الأردن متحاشين مباشرة المعركة.





سار جيش الفرنجة الصليبي لفتح طبريا بقصد تعزيز مركزه القتالي كما قدّر صلاح الدين...

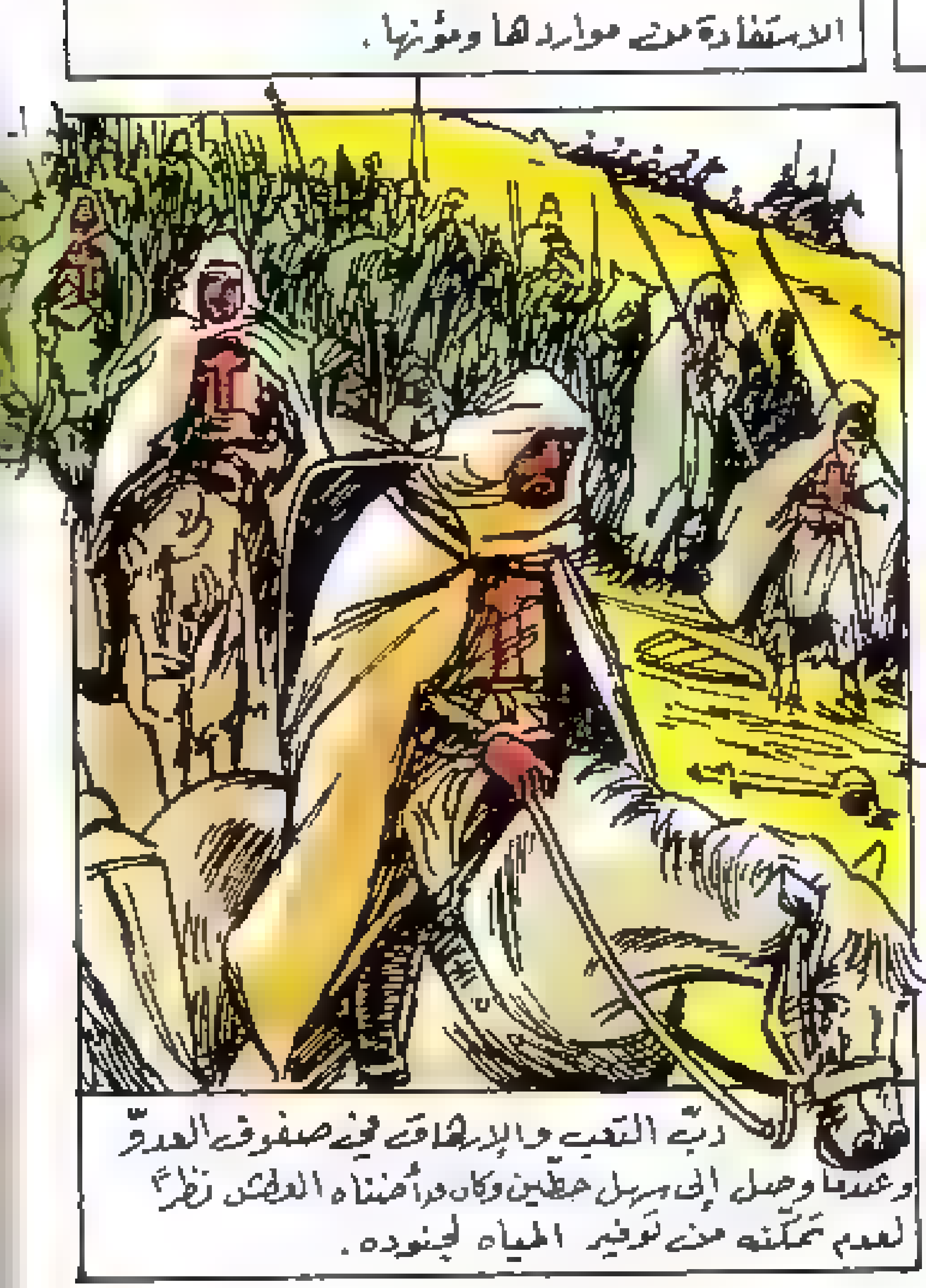
الحمد لله
ربّ العالمين الذي
هدانا إلى الرأي
السديد.

سبق صلاح الدين الفرنجة واستولى على طبريا وقطع عليهم طرق الإمدادات والمياه، وبذلك ضمن دعامة هامة من دعائم النصر.

أمر صلاح الدين بإشعال النار في منازل طبريا بعد إجلاء أهلها عنها ليمنع العدوّ من الاستفادة من مواردها ومؤنها.








حمل صلاح الدين على جيش الفرنجة حملة كاسحة، ودارت
معركة رهيبة بين الفرنجة وجيش العرب والمسلمين
استبسل فيها جنود صلاح الدين وأوقعوا
الإصابات البليغة في صفوف العدو.
ولم يكد الليل يرخي سدوله على أرض
المعركة حتى لاذ جيش الفرنجة بالفرار
ولجأوا إلى التلال المحيطة لسهل حطين
بغية التقاط
الأنفاس.

استغلّ صلاح الدين البلبلة التي دبّت في صفوف العدوّ ، طوّق تحت جنح الظلام تلال حطّين بقواته ليقوّي موقع عسكره القتالي في المعركة المقبلة في النهار التالي .





سهر صلاح الدين معظم الليل متنقلاً من موقع عسكري إلى آخر ليتأكد من التنفيذ الدقيق لأوامره .





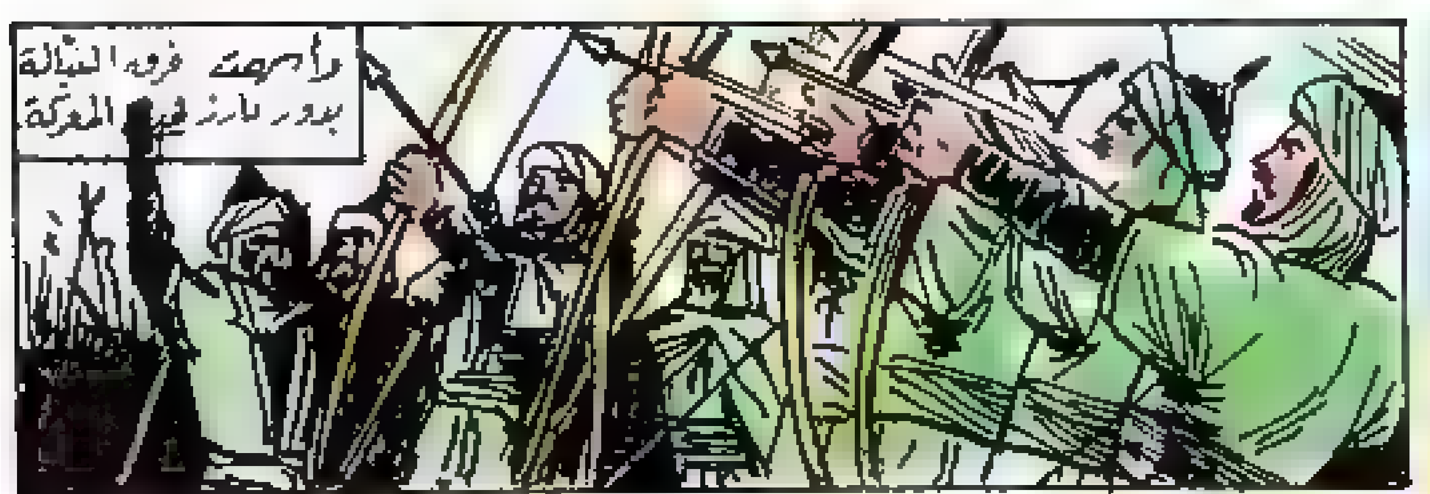
وجلس صلاح الدين في خيمته يفكر في المعركة ربّما فاته استعداد مهمّ.



كان وضع الفرنجة متضعضعاً في فجر اليوم التالي للمعركة وراح القادة والأمراء يحاولون تثبيت الوضع القتالي قدر المستطاع ويرفعون معنويات جنودهم المنهارة .


ومع ظهور خيوط الفجر الأولى علا التكبير صفوف العرب والمسلمين وهجموا هجمة الرجل الواحد وانقضّوا على الفرنجة
واقتحموا في معركة رهيبة دار القتال فيها شرساً وأبلى جيش صلاح الدين البلاء الحسن فتضعضعت صفوف الفرنجة
وانهارت أمام شدّة ضربات المقاتلين العرب والمسلمين المتلاحقة ...


عليكم تمزيق العدوّ إرباً إرباً... اهجموا على حشوده وتجمّعاته .
وأدار صلاح الدين المعركة بحكمة ودهاء .


وأسهمت فرقة النبالة بدور بارز في المعركة


تمكّن الفرنجة من زحزحة إحدى الفرق العربية وفتح ثغرة خلالها وظنوا أنهم تمكّنوا من العرب .


أحكموا الطوق من حولهم، وأجهزوا عليهم .
سدّ العرب الثغرة على الفرنجة وشطروهم شطرين ...


الله أكبر... مزّقوهم... افنوهم...

بل قل قضي على ريمون.إن جيشه مخترق ومطوّق.

لقد انتصر ريمون في اقتحام صفوف صلاح الدين

ظنّ أمراء الفرنجة أن النصر عقد لواءه لهم عندما رأوا جيش المسلمين ينحسر عن فجوة واسعة وأن جنودهم يقتحمون جيش المسلمين وسط مظاهر الابتهاج ولكن ظنّهم خاب عندما رأوا جيش المسلمين يطوّق القوة المهاجمة.









يا للعار ... لم نقم على هدنة مشرّفة فوقعنا في ذلّ الأسر
عزاؤنا أن آسرنا هو صلاح الدين ..

إنتهت معركة حطين باستسلام أمراء الفرنجة ووقوع عدد كبير من جنودهم في الأسر كما غنم العرب غنائم لا حصر لها .

تمكّن ريمون أمير طرابلس من الفرار وظلّ هائماً على وجهه حتى وصل إلى طرابلس في حالة مؤثّرة .

جلس صلاح الدين في خيمته ينفض عن نفسه غبار المعركة المشرّفة التي تكلّلت بنصر مبين .

وراحت تتوافد إلى حضرته رؤوس الفرق والكتائب ناقلة إليه أنباء المعارك وأخبار استبسال الجنود ... وأهوال الفرنجة المنهزمين .

تمّ أسر جميع الأمراء ماعدا ريمون ...
جميع أمراء الافرنج نبلاء يستحقون الاحترام ماعدا أمير كرك اللئيم

ساق الجنود العرب أرتال الفرنجة الأسرى إلى معسكرات الاعتقال وسط مظاهر الفرح والابتهاج .


شكرًا لتواضعكم النبيل... هل لي أن أطمع في شربة ماء ...
خذ قسطًا من الراحة ولا تخشَ بأسًا. إن طلباتك كافة ستلبّى!
استقبل صلاح الدين كبار أسراه من ملوك الفرنجة في سرادقه الخاص بما يليق بمقام الملوك وجريًا على عادات العرب الكريمة، وكان الملك غي خائر القوى حتى كاد يسقط إعياءً فأسعفه صلاح الدين بنفسه وهدّأ من روعه.


وبعد أن نال غي قسطًا من الراحة قدّمت له كأس فيها ماءٌ قراح.

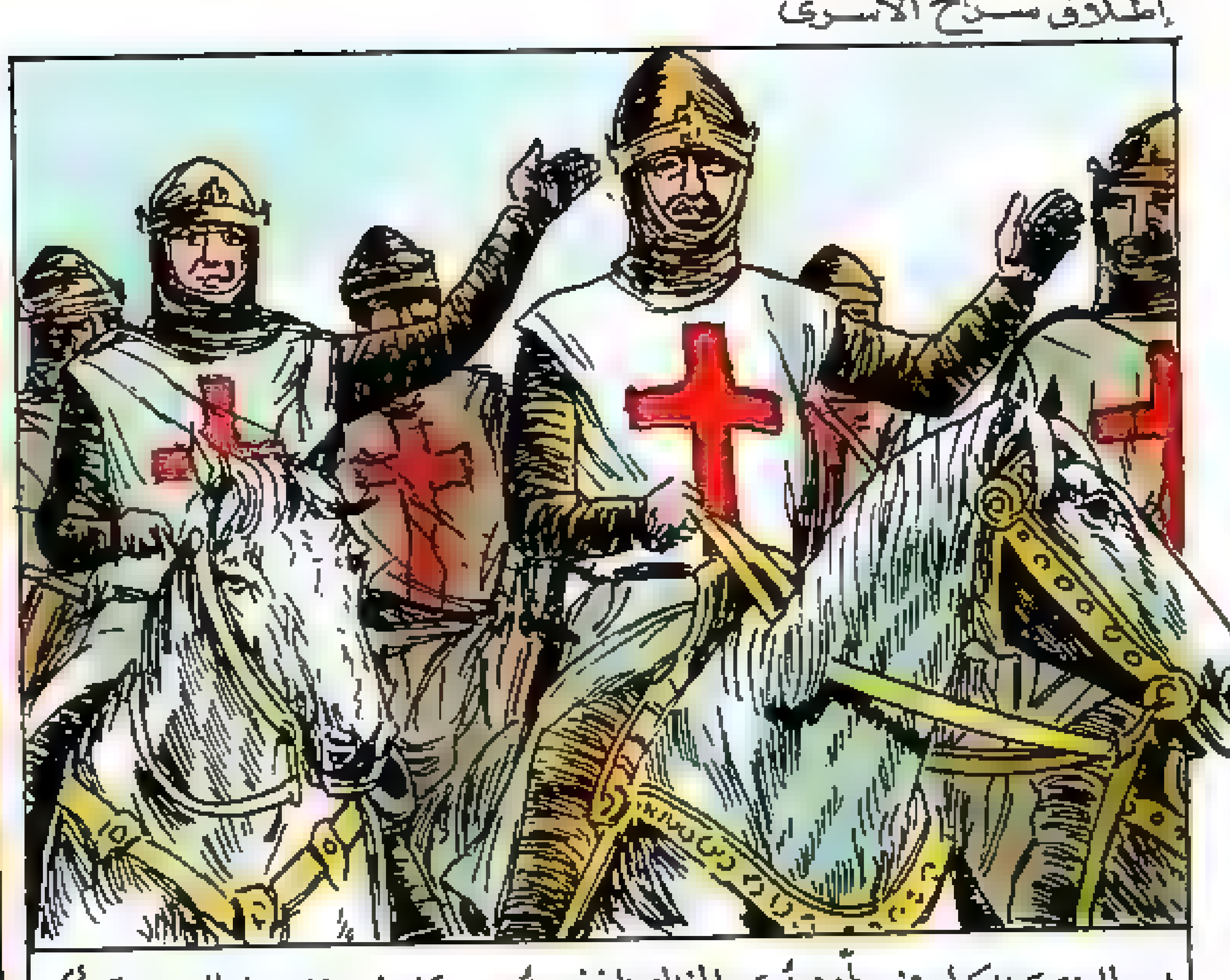

ليعلم الملك غي أنه بيده سقى دى شاتيون.
شرب غي نصف ما في الكأس من ماء وقدّم إلى أمير كرك دى شاتيون بقصد إنقاذ حياته.


إن عاداتنا وتقاليدنا العربية تقضي إذا أطعم أحدنا أو سقى أسيره بيده حتى به أن أعطاه الأمان.


ملوك الفرنجة أكبر من أن يلجأوا إلى أساليب ذليلة لإنقاذ حياتهم.
ردّ دى شاتيون مقاطعًا بلؤم كلام صلاح الدين.


أضربوا عنق هذا الخسيس، فهو لا يستحق الرحمة.


والله لو كان هذا الرجل يتمتع بذرة من الأخلاق الحسنة لعفوت عنه.
وعقب ضرب رقبة دى شاتيون جلس صلاح الدين حزينًا.



بعد الهزيمة النكراء في حطين أيقن الغزاة الفرنجة أن لا بقاء لهم في ديار العرب وقد أكرم صلاح الدين الملوك الأسرى ثم أطلقهم أحراراً ولبّى طلب الملك في إبقاء أسقف الناصرة لمعالجة مرضى وجرحى الفرنجة . وغادر الملك إلى دمشق شاكراً الملك الناصر صلاح الدين .



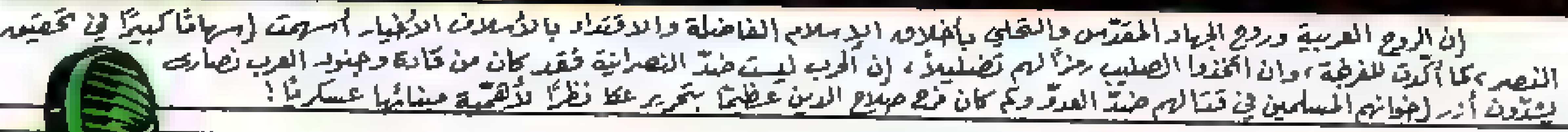
عزم صلاح الدين على الاستفادة من النصر الكاسح الذي حققه في حطين من أجل تحرير باقي البلاد العربية الواقعة تحت نير الاحتلال الفرنجي الصليبي .

وتمّ الاستيلاء على المدن الفلسطينية بسهولة متناهية واحدة بعد الأخرى .

كان صلاح الدين يحاصر المدن التي يدافع عنها الفرنجة بعناد ، ثم يدكّها دكاً حتى تستسلم له .

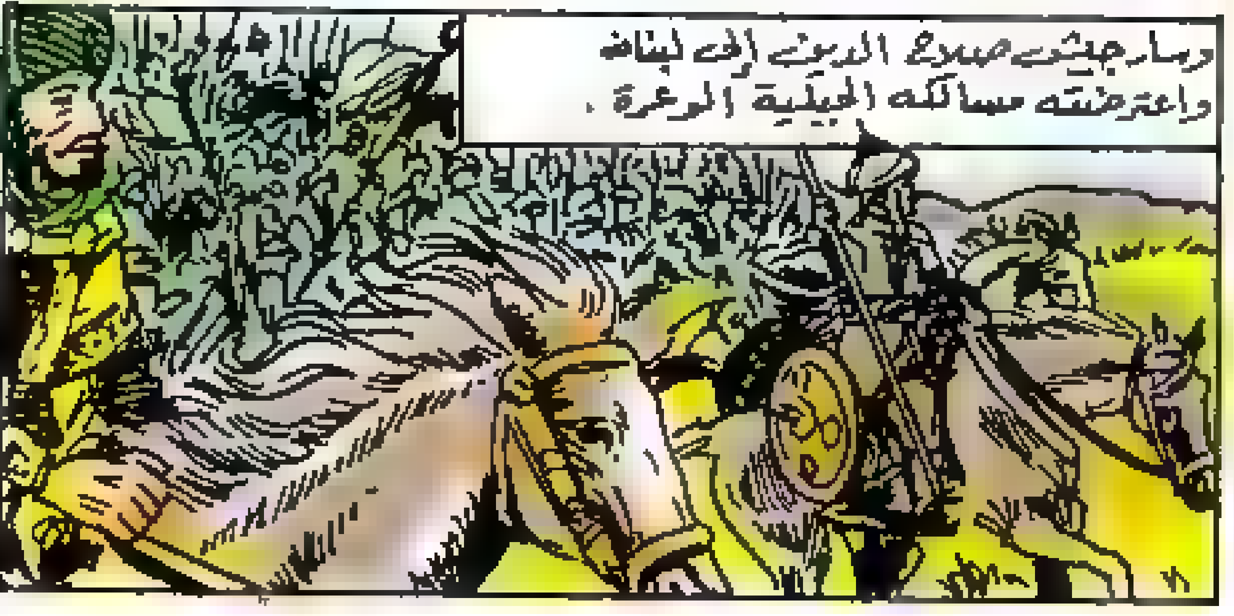
في هذا الميناء دمّرنا الآن رأس الغزاة .

وبإذنه تعالى سوف نحرّر بيت المقدس



تابع صلاح الدين معاركه الظافرة على أرض فلسطين .

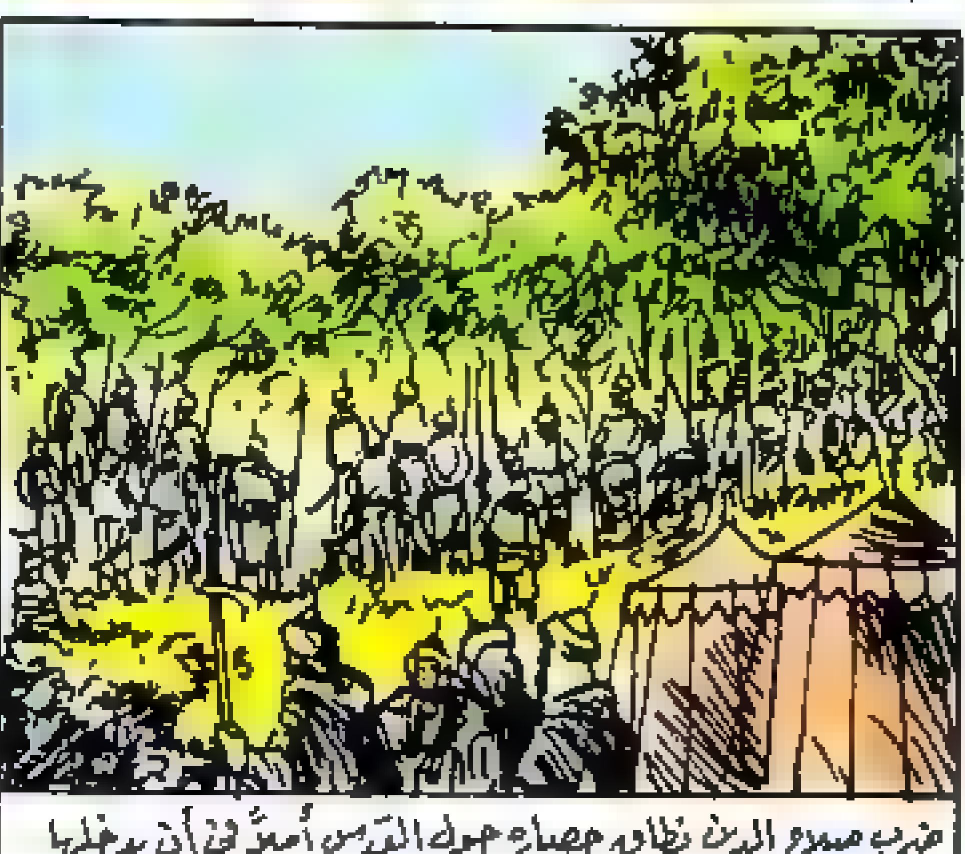





كانت قلعة أرنون المطلّة على لبنان الجنوبي وسهول مرجعيون من أهم الحصون التي يعتبرها الإفرنج ومنها يهددون جنوبي لبنان وشمالي فلسطين وقد بذلوا الجهود المضنية في تحصين القلعة وخبأوا فيها سلاحاً كثيراً وعززوا حاميتها بأفضل مقاتليهم حتى باتت في نظرهم حصناً لا يغلب ورمز وجودهم على أرض العرب.
أقام صلاح الدين في مرجعيون أرنون وراح يدكّها بالمجانيق مناديق وبصعوبة بالغة
بعد أن طرد حصن تورنين ثم أحكم حصاراً قوياً حول دكاً شديداً. ولقي من المدافعين استبسالاً ومقاومة تمكن من فتح ثغرة في أحد أسوارها مما سمح له بالهجوم
الله أكبر... هجوم.
الله أكبر... هجوم
اقتحم جنود صلاح الدين الأشاوس قلعة أرنون ودارت فيها معركة رهيبة.
وتمّ الاستيلاء على الحصن المنيع واقتيد الأسرى إلى معسكر صلاح الدين فأطلق القائد الشهم سراحهم جميعاً تكريماً لاستبسالهم في القتال.

وعقب تحرير صلاح الدين لعسقلان وغزة والرملة والخليل وبيت لحم... أصبحت طريق بيت المقدس مفتوحة أمام زحفة الظافر. فسار إليها في أيلول من عام ١١٨٧ للميلاد.



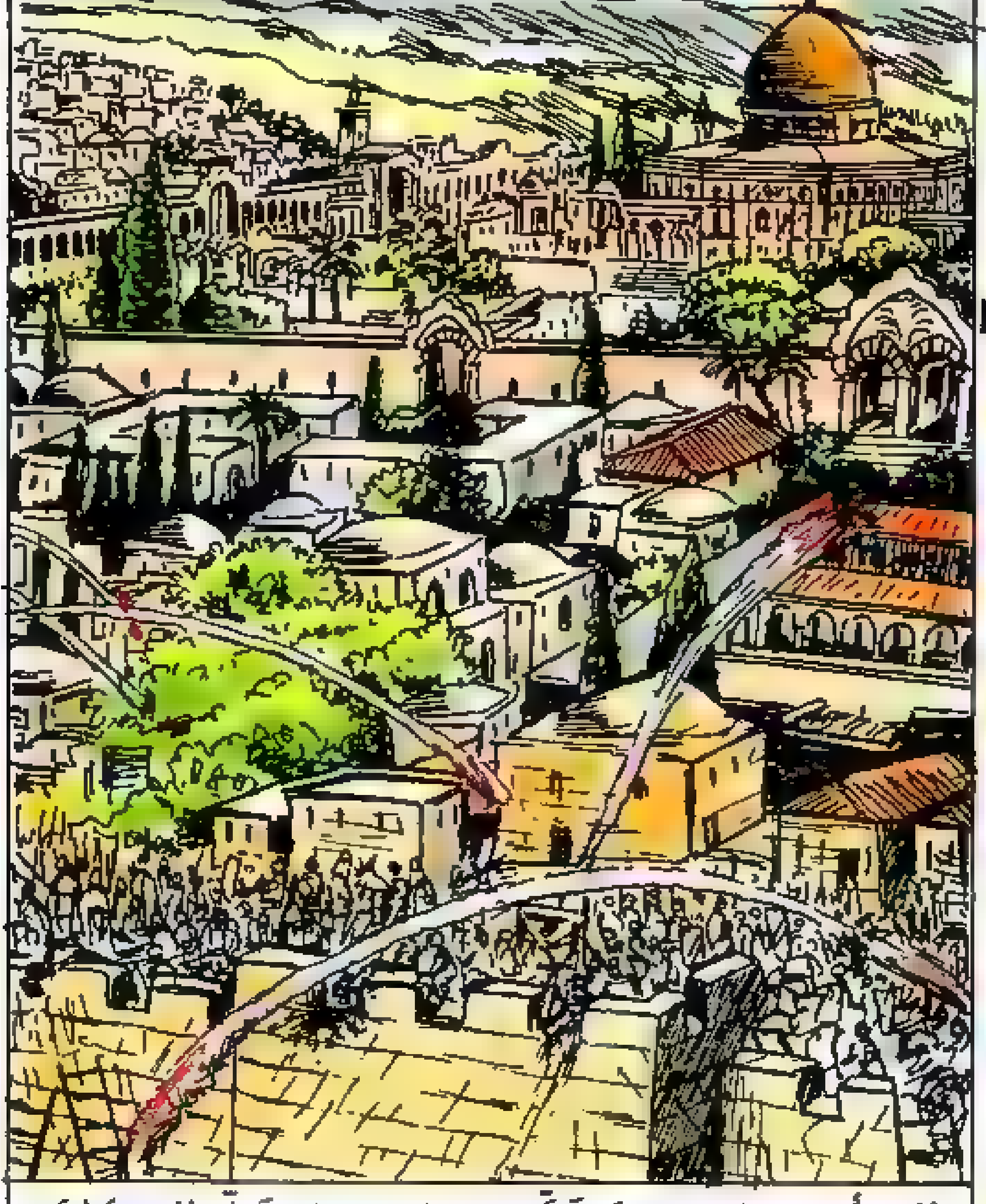


ضرب صلاح الدين نطاق حصاره حول القدس أملًا في أن يدخلها صلحًا. وعسكر فوق جبل الزيتون المشرف على المدينة.



ورضي صلاح الدين بمفاوضة الفرنجة المدافعين عن بيت المقدس واستخدم لهذه الغاية الأمير باليان لديه صونًا لحرمات الأماكن المقدسة





حنث الأمير باليان بوعده كما توقع صلاح الدين، بل وتسلم بنفسه قيادة مقاومة الفرنجة، عندئذٍ أمر صلاح الدين بضرب القدس بعنف.

انهالت على المدينة المقدسة القذائف الحديدية وكرات اللهب الحارقة وأمطرت بوابل من النبال المتلاحقة حتى أصبحت غارقة في جحيم لهب ودخان.





أعقب صلاح الدين الضرب العنيف للمدينة بخطة بارعة، فأمر بحفر خندق يمتد إلى داخل المدينة، فنقب المقاتلون نفقاً وملأوه حطباً أشعلوا فيه النار فانهار جانب من جدار الحصن محدثاً ثغرة واسعة يمكن العبور منها إلى داخل السور.
لقد نجح المقاتلون في مهمتهم رغم وابل النبال الذي أمطرهم به الإفرنج.



اجتمع باليان بأمراء الفرنجة الآخرين وقد أيقن عدم جدوى المقاومة وأن المدينة ستسقط في يد صلاح الدين لا محالة. وأعلمهم أنه ينوي طلب الصلح منه.



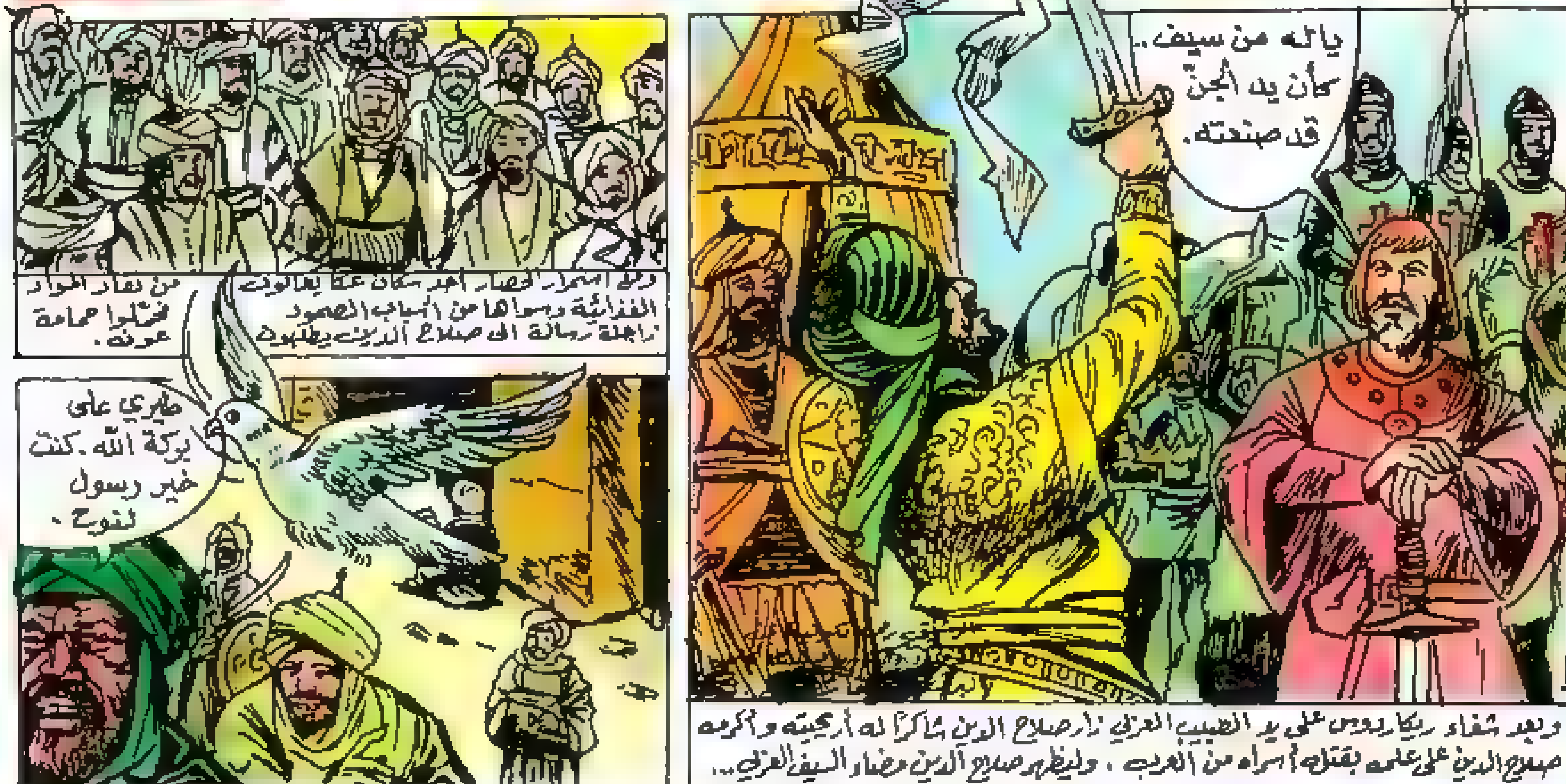


دخل صلاح الدين القدس وفرض الأمن فوراً ومنع التعدي، وكان كريماً مع الفرنجة، فأمهلهم أربعين يوماً للرحيل من القدس، وأكرم أهل المدينة مسلمين ومسيحيين مقدراً الأحوال الصعبة


بعد فراغ صلاح الدين من حلّ المشاكل التي خلّفها الفرنجة تابع تحرير مدن الساحل السوري حتى بلغ انطاكية ودخلها صلحاً بناءً على رغبة أهلها العرب.
وكانت أوروبا تعد حملة ظاهرها صليبي وباطنها استعماري وفاتها أن النصارى العرب قاتلوا مع اخوانهم المسلمين.
وحملت أمواج البحر المتوسط أساطيل الغزو الفرنجي الجديد إلى ديار الشام وفلسطين.
وكان من أبرز الغازين ريكاردوس قلب الأسد ملك انكلترا والرجل الشهير بنبوغه العسكري وشجاعته في القتال.
وكانت عكا هدف الحملة الكبيرة واختيرت لتكون مركز تجمع الجيش الغازي وحوصرت المدينة الباسلة ودارت من حولها معارك كثيرة واستبسل العكاويون في الدفاع عن مدينتهم ولم يبخل صلاح الدين في مدّهم بالنجدات لتعزيز صمودهم.

سيّدي... هذا المرض المزمن لا يقدر على علاجه غير أطباء من أهل البلاد
وكيف السبيل إليهم ونحن في حرب معهم.
إستمرّ حصار عكا عامين وصمدت العرب في عكا صمود الأبطال وأثناء الحصار أصيب ريكاردوس بحمى الملاريا فخشي الإفرنج على ملكهم من الموت.

إن أخلاقنا العربية وديننا السمح يأمراننا بالمعروف.
كيف تعالجني يا رجل وأنت تعلم أني عدو بني قومك.
وعندما بلغ صلاح الدين خبر مرض ريكاردوس أرسل طبيبه الخاص



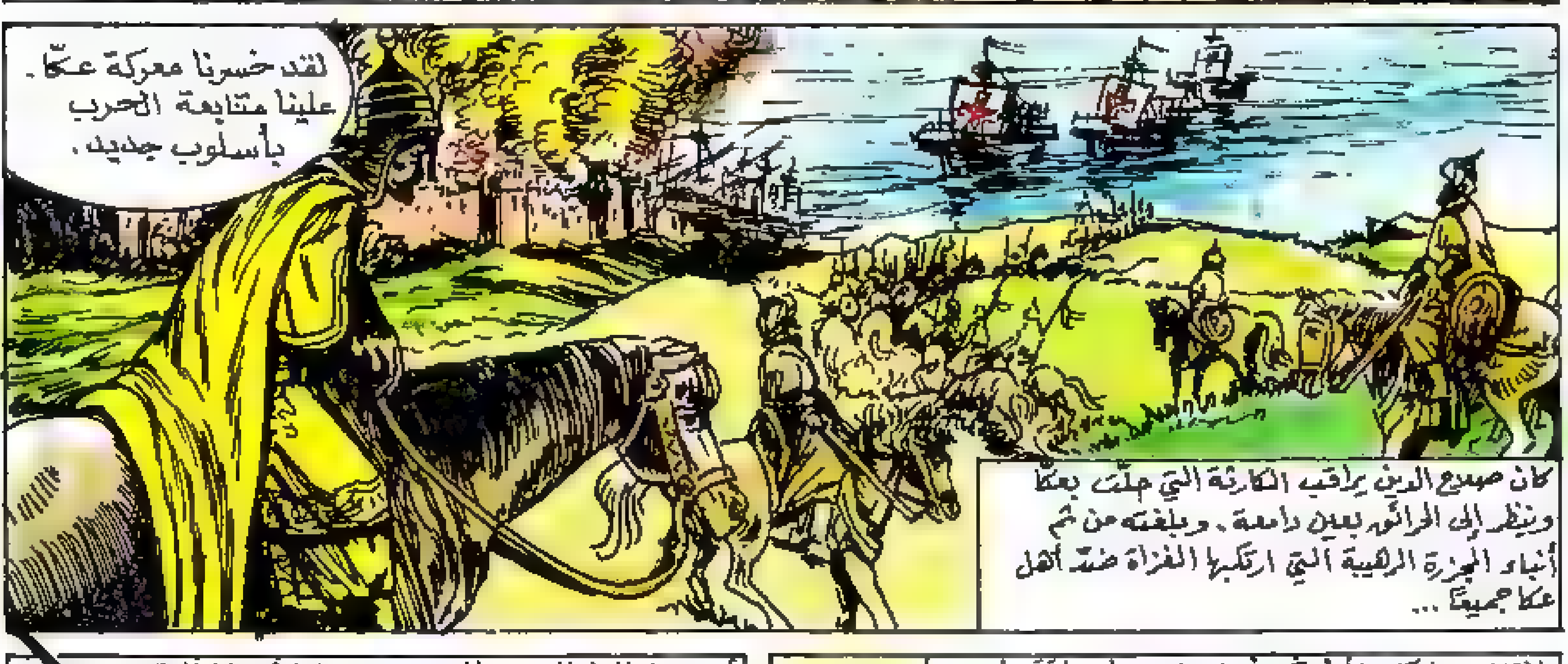






ربط الشاب عيسى العوّام على جسده الذهب وأخفى الرسالة في نطاقه ورمى بنفسه في لجج البحر الهائج ... للوصول سباحة إلى عكّا وإيصال الأمانة إلى العكاويين ليفرجوا كربهم ويشتروا ما يلزمهم من مؤن وذخائر من الافرنج بواسطة عملاء لا يهمّهم سوى الأصفر الرنّان. ولكنه غرق قبل أن يحقّق غايته وقذفه الموج على رمال شاطئ عكّا بعد أيام. ووقع نظر الحرس عليه فهرعوا نحوه.
على الرمال غريق ... هيّا إلى نجدته قد يكون فيه بقيّة من حياة.
يالك من عربي شهم. أنت خير من أدّى الأمانة إلى أهلها.
هذا الشاب هو عيسى العوّام أنا أعرفه تمامًا وهو عربيّ من النصارى.
وتحرّى الرجال عن الغريق فإذا به نصراني يحمل إليهم أمانة من قائدهم صلاح الدين.
ما انفكّت التعزيزات والنجدات تتوالى من بلاد الفرنجة على جيشهم الغازي حتى أمست مدينة عكّا في حكم السقوط.


قاتلوا الفرنجة أيها العرب دفاعًا عن مدينتكم المقدّسة. الموت ولا الذل.
اصمدوا وتعاضدوا يا رجال.
لم يعرف التاريخ مدينة استبسل أهلها في الدفاع عنها مثل عكا. صمد أهل هذه المدينة بقلب واحد ويد واحدة مسلمين ومسيحيين سنتين وتألبت عليهم قوى الغزو الفرنجي من أوروبا كلها من إنكلترا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا... وسقطت المدينة بشرف في تموز من عام ١١٩٠ للميلاد...


لقد خسرنا معركة عكا. علينا متابعة الحرب بأسلوب جديد.
كان صلاح الدين يراقب الكارثة التي حلت بعكا وينظر إلى الجرائم بعين دامعة. وبلغته من ثم أنباء المجزرة الرهيبة التي ارتكبها الغزاة ضد أهل عكا جميعًا...


إختلف ملوك الفرنج فيما بينهم على اقتسام غنائم عكا. وكانت سببًا في تفرقهم.
أنا سآخذ حصتي من الغنائم وانسحب أنت من الخلف يا ريكاردوس.
وأنا باقٍ حتى أحكم سيطرتي على الديار المقدسة كلها.
عمد صلاح الدين إلى حرب العصابات بعد كارثة عكا المدمرة. وراح الفدائيون يغيرون على أهداف فرنجية ويوقعون فيها الخسائر.
لن يطول مقامكم على أرض العرب وسترون كم سيكلفكم غزو ديارنا...


أحمل إلى سيادتكم رسالة من أخي الملك الناصر صلاح الدين يطلب إليكم تحديد شروطكم لهدنة طويلة فيما بيننا.
شروطي هي: وقف القتال لثلاث سنوات وأن يكون الساحل من صور إلى يافا تحت سيطرتنا وتبقى بيروت وصيدا وجبيل لصلاح الدين. وعسقلان مجردة من السلاح. وأن تكون زيارة الأماكن المقدسة حرة للجميع وتشمل هذه الهدنة جميع فدائيي الحشاشين
أدرك صلاح الدين أن معارك الكر والفر لن تأتي بالنتائج المرجوة والعدو يتمتع بقوة عارمة فعمد إلى أسلوب المفاوضة في هدنة تساعد على التقاط الأنفاس وتجميع القوى استعداداً لخوض معارك جديدة. فأرسل أخاه إلى ريكاردوس الشخص الذي ارتبط معه بصداقة شخصية من أجل مفاوضته على شروط الصلح.
وافق صلاح الدين على شروط ريكاردوس للصلح.
لا يمكننا أن نحصل على أفضل من هذا...
ليست المسألة أفضل أو أسوأ. نحن أهل هذه الديار وفيها باقون ولا بأس من هدنة مؤقتة فيما بيننا.
ومن المآثر الكثيرة التي فرضت احترام صلاح الدين على ريكاردوس أنه ذات يوم كبا به جواده وهو في معمعان المعركة فأنقذه صلاح الدين وأهداه جواداً غيره.
أملي يا ملك الافرنج أن ينعم الناس بالسلام.
يا ملك العرب والمسلمين لقد تعلمت منك الكثير فأنت نعم المنتصر والقدوة في الشجاعة والشهامة.
وكان لقاء الملكين الفارسين لقاء نديين.
نعمت بلاد الشام وأرض فلسطين والقدس بالسلام والطمأنينة وكانت تلك هي المرة الأولى التي يحافظ الافرنج فيها على وعودهم.



تلك هي سيرة صلاح الدين الأيوبي صاحب الاسم الخالد ورمز الشجاعة
والشهامة الذي دخل تاريخنا قائدًا شجاعًا فرض
احترامه على العدو قبل الصديق.
وتوفي في دمشق عام ١١٩١


الفتوحات


ARAB COMICS
عرب كوميكس
AC
www.arabcomics.net